العدد (١٠) رمضان ١٤٢٩- سبتمبر ٢٠٠٨

الصوفية

إضاءة لتزكية النفس وتصحيح المسار

اغتنم فرصتك في رمضان

النساء وعالم الدراويش!!

قراءة في أوراق شيخ مشايخ الطرق الصوفية الجديد

مولد السيدة عائشة.. الذكر على الطريقة الصوفية

الهيئة الاستشارية للمجلة

د.عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف

الشيخ/عبد المجيد الريمي

أ.د/ الأمين الحاج أحمد

الشيخ/عبد الرحمن عبد الخالق

هيئة المجلة:

حسن بن عبد البار

عبد الرحمن بن محمد الهرفي

محمد بن عبد الله المقدي

- ترحب المجلة بإسهامات الكتاب في شتى موضوعات التصوف.
- ترحب المجلة بتعقيبات القراء ومراجعاتهم حول ما ينشر في المجلة.

بريد التحرير:

a@alsoufia.com

الصف والتنسيق والإخراج الفني:

مركز أفنان

afnan.rc@gmail.com

في هذا العدد

الافتتاحية	٣
قالوا في التصوف	٤
عبادات تحت الضوء- احتفال الصوفية بليلة القدر	٥
عقائد تحت المجهر- الرياضة في الطرق الصوفية	٧
النساء وعالم الدراويش	١٢
بين شيخ التربية وشيخ العلم والتعليم	١٤
قصة قصيرة- فيما يرى التائه	٢٠
نحو التزكية- اغتنم فرصتك في رمضان	٢٢
تقرير ميداني- مولد السيدة عائشة..الذكر على الطريقة الصوفية	٢٦
متابعات:	
النصارى واليهود والبوذيون يدعون للتصوف في المغرب	٢٨
د/ عبدالعزيز آل عبداللطيف: الغرب يساند المتصوفة	٢٩
حكم بالسجن مع إيقاف التنفيذ على متصوفة بتونس	٢٩
طلبًا للإنجاب نساء مغربيات يطفن بضريح مولاي إبراهيم	٣٠
شيخ مصري يؤكد وجود علاقة بين شيعة العراق ومتصوفة مصر	٣١
مؤسسة أغاخان الشيعية تطلب ترميم مسجد بالقاهرة	٣٢
حلقة صوفية في كنيسة لندنية تحت رعاية الحكومة البريطانية	٣٢
الأمن المصري يغير طريق موكب "سيدي الحاج"	٣٣
إقامة مولد السيدة زينب تحت رعاية رئيس مجلس الشعب المصري	٣٤
تعاون صوفي أمني بمصر لمحاربة الاعتكاف السني في رمضان!!	٣٥
قراءة في أوراق شيخ مشايخ الطرق الصوفية الجديد	٣٦

الافتتاحية

لقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم من البدع والإحداث في الدين. فقال: {من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد}[1].

وقال أيضاً: {عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنّ كلّ محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة}[2].

ولا شيء أفسد للدين وأشد تقويضاً لبنيانه من البدع، فهي تسري في كيانه سريان النار في الهشيم، وهى بريد الشرك والموصلة إليه، ولو خرج الرجل كفافاً لا عليه ولا له لكان الأمر خفيفاً، بل لابد أن توجب له فساداً، منه نقص منفعة الشريعة في حقه، إذ القلب لا يتسع للعوض والمعوض منه.

ومن أشدّ وأخطر ما تساهل فيه بعض المسلمين إحداث أعياد بدعية ما أنزل الله بها من سلطان، ومنشأ ذلك كله: الابتعاد عن كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والمسارعة إلى التشبه بالأمم الأخرى في أعيادها واحتفالات لهم فزين الشيطان ذلك حتى استحكمت الأهواء والفتن والجهالات، التي زينت الباطل وشوهت الحق وبلغ من استحكامها فيهم أن سموا الشرك توحيداً، فاتخذوا من الموتى وقبورهم آلهة وأنداداً من دون الله، وشرعوا لها أعياداً وموالد جعلوها فروضاً لازمة ومناسك ومشاعر صارت أحب إلى قلوبهم الغاوية. من فروض ومناسك عبادة رب العالمين.

ولا يكاد يمرّ أسبوع إلا وتجد فيه عيداً، وهي في زيادة حتى جعلوا لكل شيء عيداً؛ وذلك أن هذا الأمر لا ضابط له إلا الشرع؛ لأن مسألة الأعياد من المسائل الشرعية التعبدية التي لا يجوز الابتداع فيها ولا الزيادة ولا النقصان، وقد حدد سبحانه هذه الأعياد فحرّم اتخاذ أعياد سواها.

فلزوم السنة ومحاربة البدعة وحماية العقيدة من أيّ دخيل، واجب على كل مسلم ومسلمة وعلى العلماء وطلبة العلم خاصة.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الملح (١١٢/٢)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٢٦٨/٤)، صحيح مسلم، كتاب الأقفية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣- ١٣٤٤)، حديث (١٧١٨).

(٢) سنن أبي داود كتاب السنة، باب في لزوم السنة (٢٠٠/٤- ٢٠١)، حديث (٤٦٠٧) واللفظ له، وسنن ابن ماجه المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/١٥- ١٦)، وحديث (٤٢)، وسنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٤٤/٥- ٤٥)، حديث (٢٦٧٦)، وقال حديث حسن صحيح، ومسند الإمام أحمد (١٢٦/٤- ١٢٧)، والمستدرك للحاكم، كتاب العلم (٩٥/١- ٩٦)، وقال إسناده صحيح ووافقه الذهبي.

قالوا في التصوف

ذكر الفقيه الحنبلي الحافظ المفسر الواعظ المؤرخ الأديب "ابن الجوزي" [1] في كتابه (تلبيس إبليس) صفحة (١٥٦- ٢١٧) ذاكرًا طرفًا من تلبيس إبليس على الصوفية:-

" الصوفية انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال وتوسموا بسمات فاحتجنا إلى إفرادهم بالذكر والتصوف طريقة كان ابتداؤها الزهد الكلي ثم ترخص المنتسبون إليها بالسماع والرقص فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرون عندهم من الراحة واللعب فلا بد من كشف تلبيس إبليس عليهم في طريقة القوم ولا ينكشف ذلك إلا بكشف أصل هذه الطريقة وفروعها وشرح أمورها والله الموفق للصواب"

وقال:" وقد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة وإنما ذهبوا إلى هذا ؛ لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من الانقطاع إلى الله عز و جل وملازمة الفقر، فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله –صلى الله عليه وسلم – وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة في مسجد رسول الله، وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة وإنما أكلو من الصدقة ضرورة فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا، ونسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل: صفي"

وقال:" وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم وشبهوا المال بالعقارب ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري"

وقال:" ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي ... ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق ففسدت عقائدهم فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد ومازال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سننًا وجاء أبو عبد الرحمن السلمي فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم وإنما حملوه على مذاهبهم والعجب من ورعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن"

وقال:"أما بناء الأربطة فإن قومًا من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: أنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: أنهم جعلوا للمساجد نظيرًا يقلل جمعها.

والثالث: أنهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطا إلى المساجد.

والرابع: أنهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم بالأديرة.

والخامس: أنهم تعذبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح.

والسادس: أنهم جعلوا لأنفسهم علمًا ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخًا للبطالة وأعلامًا لإظهار الزهد وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ووقفوا عليها الأموال الخبيثة وقد لبس عليهم إبليس أن ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع.

فمهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد فأين جوع بشر وأين ورع سري وأين جد الجنيد وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضي في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته فغلبت عليه السوداء فيقول حدثني قلبي عن ربي ولقد بلغني أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه وأن قومًا قرءوا الحديث في رباط فقالوا لهم: ليس هذا موضعه والله الموفق"

الهامش

(١) هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد القرشي التيمي البكري. ولد في بغداد سنة ٥١٠هـ= ١١١٦م وتوفي في الثاني عشر من رمضان، سنة ٥٩٢ هـ في بغداد.

قال عنه ابن كثير: "أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة، وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوًا من ثلاثمائة مصنف".

وقال عنه الذهبي: "ما علمت أن أحدًا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل".

احتفال الصوفية بليلة القدر

صالح السحيمي

الحمد لله رب العالمين، أعز من أطاعه، وأذل من عصاه، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد:

يكون في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك من كل عام[1].

صفة الاحتفال بها:

وذلك بتخصيصها بصلاة تعرف بصلاة القدر، وهي أن يصلي بعد التراويح ركعتين في الجماعة، وفي آخر الليل يصلي تمام مائة ركعة[2].

ويكثر إيقاد المصابيح والأنوار، وتعليقها على المساجد والمنارات، إشعارًا بتلك المناسبة، وبيان فضلها، كما تشارك وسائل الأعلام في كثير من البلاد الإسلامية، في نقل ذلك الاحتفال والتحدث عنه.

كما يحضر هذا الاحتفال في بعض البلدان الإسلامية رئيس الدولة، أو من ينوب عنه[3].

ومن مظاهر الاحتفال بها، إلقاء خطبة عقب صلاة التراويح، يبين فيها فضل ليلة القدر وجزاء من عمل فيها.

يقول الشيخ محمود شلتوت في وصف الاحتفال بتلك الليلة:"تواضع المسلمون بعد عصورهم الأولى أن يحتفلوا في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان بليلة القدر، ويظن كثير من الناس أن هذا الاحتفال التقليدي الذي يقيمونه في السابع والعشرين من رمضان، والذي قوامه كلمة تلقى على الحاضرين، وحلوى توزع عليهم، يظنون أنه يحقق قيامها الذي رغَّب فيه رسول الله، صلى الله عليه وسلم[4].

قلت: ومن العجيب أن بعض من يحتفلون بهذه الليلة، يعلنون فرحهم بشكلٍ مُزْرٍ، حيث يحضرون فرقة صوفية لترقص في المسجد، وقد لبس فيها الشبان المرد بعض الملابس النسائية، ووضعوا على رءوسهم الطواقي الأسطوانية الطويلة المضحكة، فيرقصون بشكل دوري احتفالاً بهذه المناسبة[5].

إلى هذا الحد وصل الاستهزاء بدين الله - سبحانه وتعالى - حتى أصبح مناسبة للهو واللعب، ومع هذا يعدون ذلك من المواسم الشرعية، وأن هذا من دين الله: {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}[6]. فهذه صورة من مظاهر الاحتفال بليلة القدر كما يزعمون في بعض البلاد الإسلامية.

الأدلة على بدعية الاحتفال:

لا شك في أفضلية ليلة القدر وشرفها، فهي ليلة جليلة عظيمة، قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ❖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ❖ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ}[7].

وقال صلى الله عليه وسلم: (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)[8].

وهي تقع في شهر فاضل كريم، قد حث الله على قيامه والعمل فيه، فقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه)[9].

وقد حث صلى الله عليه وسلم على التماسها في العشر الأواخر من رمضان، كما صحت الأحاديث في ذلك.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: (أُرِيت ليلة القدر، ثم أيقظني أهلي فنسيتها، فالتمِسوها في العشر الأواخر)[10].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إذا دخل العشر الأواخر من رمضان أحيا الليل كله، وأيقظ أهله، وجدَّ وشدَّ المئزر)[11].

كما حث على تحرِّيها في أوتار تلك العشر؛ فعن عائشة- رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر في رمضان)[12].

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (التمسوها في العشر الأواخر من رمضان ليلة

القدر في تاسعة تبقى، في سابعة تبقى، في خامسة تبقى)[١٣] فالله - سبحانه وتعالى - أبهم هذه الليلة على هذه الأمة ليجتهدوا في العبادة ليالي رمضان؛ طمعًا في إدراكها، كما أخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة، وأخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه بالطاعات ليرغبوا في جميعها، وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها، وأخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات؛ حذرًا من قيامها[١٤].

وهذا يفيد أن إحياء هذه الليلة بخصوصها، وجعلها موسمًا كل عام، وتخصيصها بصلاة معينة تسمى باسمها، كل هذا ليس من الدين.

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن حكم تلك الصلاة التي تسمى: بصلاة القدر، وهل الصواب مع من يفعلها أو مع من يتركها؟ وهل هي مستحبة، أو مكروهة؟

فأجاب: "الحمد لله، بل المصيب هذا الممتنع من فعلها والذي تركها، فإن هذه الصلاة لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، بل هي بدعة مكروهة باتفاق الأئمة، ولا فعل هذه الصلاة لا رسول - صلى الله عليه وسلم - ولا أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا يستحبها أحد من أئمة المسلمين، والذي ينبغي أن تترك، وينهى عنها"[١٥].

بالإضافة إلى إحيائها بغيرها ما رغب الشارع فيه، من كثرة إيقاد المصابيح وغيرها، وما يحدث في مثل هذه الاجتماعات من الاختلاط المؤدي إلى المفسدة[١٦].

وفي ذلك يقول محمد عبده:"فهي ليلة عبادة وخشوع وتذكر لنعمة الحق والدين، فلا تكون ليلة زهو ولهو تتخذ فيها مساجد الله مضامير للرياء، يتسابق إليها المنافقون، ويحدث أنفسهم بالبعد عنها المخلصون، كما جرى عليه عمل المسلمين في هذه الأيام، فإن كل ما حفظوه من ليلة القدر هو أن يكون لهم فيها ساعة سمر يتحدثون فيها بما لا ينظر الله إليه، ويسمعون شيئًا من كتاب الله لا ينظرون فيه ولا يعتبرون بمعانيه، بل إن أصغوا إليه فإنما يصغون لنغمة تاليه، ثم يسمعون من الأقوال ما لم يصح خبره، ولا يحمد في الآخرين ولا الأولين أثره، لهم خيالات في ليلة القدر لا تليق بعقول الأطفال، فضلا على الراشدين من الرجال"[١٧].

فهل الذين يحتفلون هذه الليلة على هذا النحو، قد عظموها كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم؟ هل أدوا العبادة التي طلبها الله - سبحانه وتعالى - من قيام، وخشوع، والتجاء، وتضرع، وطلب للمغفرة، والنجاة من النار، واتباع ما شرع الله، والابتعاد عما نهى عنه وزجر؟!

بل إن كثيرًا ممن يحتفلون بتلك الليلة لا يقيمون لشعائر الدين أية منزلة، وإنما ظنوا أن التعظيم وإحياء مثل هذه المواسم يكون بإنارة المساجد، وكثرة الاجتماعات والخطب، وأنه يوم فرح ولهو وإظهار زينة، متناسين قوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ)[١٨]، نسأل الله العافية والسلامة.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الهامش

(١) قاموس العادات والتقاليد لأحمد أمين (٣٤٩هـ)، وجمع البدو في حلهم وترحالهم لمحمد المرزوقي.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٢٢/٢٣).

(٣) خلاصة الكلام في أركان الإسلام (٢٦٣- ٢٦٥).

(٤) انظر: الفتاوى لمحمود شلتوت (١٥٢).

(٥) انظر: منكرات الأفراح (٦٣).

(٦) سورة الكهف، آية (٥).

(٧) سورة القدر، آية (١- ٣).

(٨) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب فضل ليلة القدر: (٢٥٥/٤)، حديث (٢٠١٤).

(٩) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان (٩٢/١)، حديث (٣٧)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان (٥٢٣/١)، حديث (٧٥٩).

(١٠) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل ليلة القدر (٨٢٤/٢)، حديث (١١٦٦).

(١١) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب فضل ليلة القدر (٢٦٩/٤)، حديث (٢٠٤٤).

(١٢) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب فضل ليلة القدر (٢٥٩/٤)، حديث (٢٠١٧)، وصحيح مسلم، كتاب الصيام (٨٢٨/٢)، حديث (١١٦٩).

(١٣) صحيح البخاري مع فتح الباري (٢٦٠/٤)، حديث (٢٠١٢).

(١٤) انظر: تفسير البغوي (٥٠٩/٤- ٥١١)، وتفسير القرطبي (١٣٤/٢٠- ١٣٧)، والمغني لابن قدامة (١٨٢/٣)، وشرح صحيح مسلم للنووي (٥٧/٨- ٥٩)، وتفسير ابن كثير (٥٣٢/٤- ٥٣٤)، وفتح الباري لابن حجر (٢٦٢/٤- ٢٦٦)، ونيل الأوطار (٣٦٤/٤- ٣٦٧).

(١٥) مجموعة الفتاوى لابن تيمية (١٢٢/٢٣).

(١٦) انظر: الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ (٢٧٤).

(١٧) تفسير جزء عم لمحمد عبده (١٣٣- ١٣٤).

(١٨) صحيح البخاري، كتاب الملح (١١٢/٢)، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٢٦٨/٤)، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور (١٣٤٣/٣- ١٣٤٤)، حديث (١٧١٨).

الرياضة في الطرق الصوفية

محمود عبد الروؤف القاسم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

فإن الرياضة تعني الخلوة والسهر والجوع والعطش والصمت، وكل هذه المجاهدات التي يسلكها المريد في الطريقة، ويحدث في أثناء هذه الفترة من البدع والخرافات الشيء الكثير، وهنا نذكر بعضًا من تلك الأمور، حتى يتضح الأمر جليًا للقارئ ويقارن بين ما يقرأه وبين تربية النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه، وكذا تربية التابعين لهم بإحسان كيف كانت.

يقول ابن عجيبة:

إذا أتى الفقير إلى الشيخ ليأخذ بيده، فأول ما يلقنه الورد، فإن التلقين فيه بركة عظيمة...ثم يأمره بالتوبة ورد المظالم وقضاء الدين بقدر الاستطاعة، ويحذره من الرجوع إلى ما كان عليه، ثم يعلمه ما يلزمه في دينه من طهارة وصلاة وما يتعلق بذلك إن كان جاهلاً، وما يتيسر من علم التوحيد خاليًا عن الدليل، فإن كان الشيخ ليس من شأنه ذلك، دفعه إلى من يعلمه، ثم يأمره بلزوم الطاعة من صلاة وصيام وذكر وغير ذلك، كل واحد ما يليق به، لأن الشيخ تقدم أنه يكون طبيبًا ماهرًا، ثم يأمره بالصحبة ولزوم مجالسة الشيخ، والاجتماع مع الإخوان، فطريق التربية ليست طريق الانفراد، وإنما هي طريق الاجتماع والاستماع والاتباع،

فمهما انفرد المريد عن الإخوان لم يكن منه شيء، فإن تعذر إقامته مع الشيخ أمره بالزيارة والوصول، فمدد الشيخ جار إلى المريد كالساقية أو القادوس، فإن كان يتعاهدها ويمشي معها بقي الماء جاريًا، وإن غفل عنها تخرم الماء وانقلب مع غيره، وأيضًا الوصول إلى الشيخ يدل على المحبة...ثم يذكره أولاً بما يُصلح جوارحه الظاهرة وهي التقوى والاستقامة، فإذا صلحت جوارحه الظاهرة أمره بالعزلة والصمت والجوع المتوسط وفراغ القلب والفناء في الاسم المفرد (الله)، فإذا رآه تحقق فناؤه وكثر تعطشه فتح له شيئًا من علم الحقائق، وأمره بالتفرغ التام وقطع العلائق، والزهد في الكونين، فإذا رآه أخذته حيرة أو دهشة دفع له علم الحقيقة، وأمره بتقليل ذكر اللسان وعمل الجوارح، وشغله بالفكرة، فإذا رآه لم يقدر على علم الحقيقة، أو رآه قنع بالعلم دون الذوق، أمره بتخريب الظاهر والتجريد التام، فإذا تمكن من الحقيقة، ورسخت فيه ذوقًا وتحقيقًا أمره بإرشاد الناس إن رآه أهلاً. هذا الذي أخذنا به وفهمناه من طريق أشياخنا[1]...

ويقول ابن البنا السرقسطي مبينًا:

حتى إذا انقاد مع الإفادة ... وكاد أن يصلح للإرادة
إذ للمريد عندهم حدود ... لأجلها قيل له مـــريد
فعندهـــا رُدّ إلى الأوراد ... كالصمت والصوم مع السُّهاد
وعاملوه بالمعامـــلات ... إذ علموا مختلـف العلات
ولم يحيلوه على الحقيقة ... إذ لم يكن مستوفي الطريقة
لكن أحالوه على الأعمال ... لأجل ما فيها من النـوال
حتى إذا أحكم علم الظاهرْ ... وأبصروا القبول فيه ظاهرْ
ألقوا إليه من صفات النفس ... ما كان فيها قبل ذا من لَبْس
وهي إذا أنكرتها فلتعرف ... إحدى وتسعين وقيل نيف
فجرعوها أكؤس المنون ... وهي تنادي كيف تقتلون
فعندما مالت إلى الزوال ... أُدخل في خلوة الاعتـــزال
وقيل: قل على الدوام (الله) ... واحذر كطرف العين أن تنساه
فلم يزل مستعملاً للذكر ... فيصمت اللسان وهو يجري

وقدر ما تجوهر اللسان بالاسم يستثبته الجنان
ثم جرى معناه في الفؤاد جريَ الغذا في جملة الأجساد
فعندها حاذى مِراة القلب لوحُ الغيوب وهو غير مخبي
فأدرك المعلوم والمجهولا حيث اقتضى لتركها قبولا
حتى إذا جاء بطور القلب خوطب إذ ذاك بكل خطب
فقيل لو عرفتني بكوني قيل إذن فاخلع نعال الكون
ثم فني عن رؤية العوالم ولم ير في الكون غير العالم
ثم انتهى لفلك الحقيقة فقيل هذا غاية الطريقة
ثم امتحى في غيبة الشهود فأطلق القول: أنا معبودي
حتى إذا رُدَّ عليه منه أثبت فرقًا حيث لم يكنه
فرُدَّ نحو عالم التحويل وعبروا عن ذاك بالنزول
ورده بالحق نحو الخلق كي ما يؤدي واجبات الرق[٢]

ويقول ابن عجيبة: ...ثم يمده بالعلم الظاهر، ومعناه أنه يذكره بعلم الشريعة وعلم الطريقة، دون علم الحقيقة، حتى إذا تهذب ظاهره وباطنه صلح لعلم الحقائق، ولا بد من الترتيب...وقد قالوا: من قدم الباطن على الظاهر فاته الباطن والظاهر[٣]. اهـ.

وهكذا فالسالك لا يعرف حقيقة التصوف؛ لأنهم لا يخبرونه بها حتى يصبح أهلاً لذلك حسب قواعدهم.

وإنما يلقنونه أولاً علم الشريعة، فما هو علم الشريعة هذا الذي يلقنونه إياه؟ لنسمع الغزالي يشرحه، يقول ابن عجيبة:

...قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: ولقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة، فلما علم الله صدق نيتي، فيض لي وليًا من أوليائه قال لي: يا بني، اقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده، واخل بنفسك واجمع همتك، وقل: الله الله ولا تزد على ما فرض الله عليك شيئًا إلا الرواتب، وقل هذا الاسم بلسانك وقلبك وسرك، وأحضر قلبك واجمع خاطرك، ومهما قالت نفسُك: ما معنى هذا؟ فقل لها: لستُ مطلوبًا بمعناه، وإنما قال تعالى: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً} [المزمل:٨][٤].

مِنْ هذا النص (ومن ركامٍ غيره لا نورده اختصارًا) نعرف ما هو علم الشريعة الذي يلقنونه للمريد؟

هذا الوصف الذي يقدمه هنا ابن البنا السرقسطي وابن عجيبة والغزالي، هو ما نراه في كل كتبهم التي تهتم بهذه الناحية.

أما علم الطريقة (الإشراقية) ففي النصوص التي مرت في هذا الكتاب توضيح مبين.

إنهم يعلِّمون المريد، منذ الخطوة الأولى في رحاب الشيخ، أن يقدس الشيخ، وأن يكون عبدًا للشيخ أكثر من عبوديته لله.

هذا هو رأس الطريق وأصله منذ أن نزل إبليس إلى الأرض، أو بعد ذلك بقليل، حتى الآن، وإلى ما شاء الله.

ثم يأتي (عند إشراقيي المسلمين وبعض غيرهم) الذكر الإرهاقي، الذي استعاضوا به - بصورة عامة عن الرياضة، أو عن بعضها.

لكن الرياضة، رغم كل شيء، يبقى لها دورها في التصوف بين المسلمين، كما أن لها دورها الرئيس، أو الوحيد، في تصوف غير المسلمين.

والمجاهدة (أو الرياضة)، كما رأينا، هي: الخلوة والصمت والجوع والسهر. وقد يرافقها تعذيب النفس بشكل من الأشكال، وتركيز الفكر في شيء ما أساسيٌ في المجاهدة الإشراقية.

❖ **الخلوة (أو العزلة):** طقس إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة (الإشراق)، التي كانت على مدى التاريخ، وما زالت، تسمى: (المعرفة)، وجاء إشراقيو المسلمين فغلبوا عليها اسم: (الصوفية والتصوف).

كان إشراقيو الأمم، وما زالوا، يمارسون الخلوة في كهوف الجبال والوديان وفي شعابها، وفي أعماق الغابات، أو في كهوف (غرف صغيرة) تبنى في المعابد خصيصًا لهذه الغاية.

ومثلهم تمامًا، مارسها متصوفة المسلمين، لكن قرونهم الأولى، استعاضوا عن كهوف المعابد بخلوات في بيوتهم، لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا يعرفون

الإسلام ويفهمونه، وكانوا يعرفون أن هذه الزندقة غريبة عن الإسلام، فكل من عُرف بها أقاموا عليه حد الردة.

وتتالت الأيام وشيئًا فشيئًا، فعلت السمومُ الصوفيةُ التي كانوا ينفثونها بهدوء فعلَها في المجتمعات الإسلامية، ففشا فيها الجهل والخرافة، وأخذ كهان الصوفية حريتهم بإعلان عقيدتهم الفاسدة والدعوة إليها، وسموها أسماءً فيها من الوقاحة بقدر ما فيها من الجرأة والافتراء على الله سبحانه، وبنوا لها هياكلها الخاصة التي سموها: (الخانقاه)، وفي الخانقاهات أقاموا، وفيها أقاموا كهوف الخلوة، وفي بعض الأحيان سموها: (المدرسة). وتتالت الأيام، وبالتكرار والزمن تمادوا في السيطرة على الفكر في المجتمعات الإسلامية، فجمدوه وعقَّموه، وصار الجهل والخرافة هما المظهر والمخبر، فانتشرت الخانقاهات في أحياء المدن وأزقتها، وفي القرى، بعد أن بدلوا اسم (الخانقاه) بـ(الزاوية)، ثم امتدوا من الزوايا ليتوغلوا في المساجد فيهتكوا حرماتها، وليرفعوا بيوت الأوثان التي يسمونها: (الأضرحة) وليجعلوا فيها ومنها كهوفًا لخلواتهم، وهياكل لطقوسهم، ومجالس لنشر ضلالاتهم.

وأصبح من غير المستهجن وجود أماكن الخلوة في المساجد، ومن المظاهراللازمة انتشار الزوايا، هياكلهم التي يقيمون فيها طقوس المكاء والتصدية، وارتفاع القباب فوق القبور إشارة إلى أن تحتها وثنًا يعبد، ومكانًا للخلوة، ولم يعودوا بحاجة إلى كهوف الجبال والوديان وشعابها، ولا للغابات ولا للصحاري.

وأقل مدة للخلوة يوم وليلة، ولا حد لأكثرها، لكن المعتاد أن تكون أسبوعًا أو أكثر حتى الأربعين يومًا.

❖ **الصمت:** طقس إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة الإشراق التي سموها: (الصوفية).

لكن إشراقيي المسلمين الأوائل عرفوا الأثر السحري لترديد كلمة ما، مئات الألوف من المرات أو ملايينها، بشكل مستمر ودون انقطاع، وهذا ما سموه: (الذكر)، فاستعاضوا به عن الصمت، بل وعن الرياضة كلها في كثير من الأحيان.

على أن عارفهم يعود إلى ممارسة هذا الطقس (الصمت) بعد وصوله إلى ما يسمونه: (مقام جمع الجمع)، أي: عندما تصبح الجذبة طوع يديه أو مسيطرة عليه.

❖ **الجوع:** طقس إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة الإشراق، التي سموها: (الصوفية).

وأقل مدة له يوم وليلة تتكرر، ولا حد لأكثرها نظريًا، وفي كتبهم يتحدثون عن متصوفة صاموا أسابيع وشهورًا، بل وسنين أيضًا، وقد رأينا من أقوالهم هذه أمثلة في هذا الكتاب، حتى تحدثوا عن صوفي صام أربعين سنة كان يأكل كل يوم زبيبة واحدة؟!

❖ **السهر:** طقس إشراقي أساسي، لا بد منه في السير إلى الجذبة، مارسه الإشراقيون منذ أن اكتشف إبليس أحبولة الإشراق التي سموها: (الصوفية).

وهذا الطقس، مضافًا إلى الخلوة، كانا وراء اكتشاف القهوة، فهم يذكرون أن عبد الرحمن العيدروس هو مكتشفها، وهو غير صحيح؛ لأنها معروفة قبله بأكثرمن قرنين[٥]، ويقول ابن العماد الحنبلي: إن مكتشفها هو أبو بكر بن عبد الله العيدروس المتوفى سنة (٩٠٩هـ).

- هذه هي الرياضة أو المجاهدة. وهدفها هو إرهاق الجملة العصبية إرهاقًا يُفقدها المقدرة على القيام بوظائفها، فتتخدر إحساساتها، وتصبح مركبًا سهلاً لشياطين الجن التي تجري من ابن آدم مجرى الدم؟ وتصبح أكثر استعدادًا للتأثر بالمادة المخدرة التي يفرزها الجسم، من أجل وظيفة حيوية فيزيولوجية.

❖ **تعذيب النفس:** كانوا يستعملونه من أجل السهر والصبر على الخلوة، وقد قَلت ممارسته الآن، إذ نادرًا ما نسمع به، واستعاضوا عنه بالمنبهات.

❖ **الذكر (أو ما يسمى بالذكر):** قلنا، ونقول، وقالوا هم: إن الطريقة الوحيدة التي تقود إلى الجذبة هي

طريقة الإشراق، وهي هي نفسها طريقة البرهان، أو الطريقة الغزالية، بعد مزجها بالإسلام مزجًا تعسفيًا.

ورأينا أن الطريقة الإشراقية تعتمد الرياضة (الخلوة والجوع والسهر والصمت) للوصول إلى الجذبة، لكن متصوفة المسلمين عرفوا أسلوبًا أسرع وأكبر إمكانية للوصول إليها (إلى الجذبة)..

إنه الذكر، وكثيرًا ما استغنوا به عن الرياضة.

فما هو الذكر؟ وما هو دوره؟

يقول عبد الوهاب الشعراني:

إن عُمدة الطريق الإكثار من ذكر الله عز وجل...قالوا: إن الذكر منشور الولاية...وأجمع القوم على أن الذكر مفتاح الولاية، وجاذبُ الخير، وأنيس المستوحش، ومنشور الولاية...وما ثَم أسرع من فتح الذكر[٦]...

ويقول ابن البنا السرقسطي:

فعندما مال إلى الزوال ... أدخل في خلوة الاعتزال

وقيل قل على الدوام (الله) ... واحذر كطرف العين أن تنساه

يشرح ابن عجيبة هاذين البيتين:

...ومَيْل النفس إلى الزوال هو إعطاؤها الطوع من نفسها، بحيث يتصرف فيها صاحبها بلا نزاع منها...فعند ذلك يدخل الخلوة...ويحضه على ذكر الاسم المفرد حتى لا يفتر عنه ساعة، وهذا التدريج الذي ذكره الناظم (في أبيات سابقة) ليس بلازم لكل الشيوخ ولا لكل المريدين أن يسلكوه، بل من الشيوخ من يلقن الاسم من أول مرة إذا رأى الفقير أهلاً له...ومن المريدين من لا يحتاج إلى خلوة، بل يأمره بالخلطة من أول مرة، والناس معادن وطبائع، والعلل متفاوتة...قال الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه: ولقد أردت في بداية أمري سلوك هذا الطريق بكثرة الأوراد والصوم والصلاة، فلما علم الله صدق نيتي قيض لي وليًا من أوليائه قال لي: يا بني! اقطع من قلبك كل علاقة إلا الله وحده، واخلُ بنفسك، واجمع همتك، وقل: الله الله ولا تزد على ما فرض الله عليك شيئًا إلا الرواتب، وقل هذا الاسم بلسانك وقلبك وسرك، وأحضر قلبك، واجمع خاطرك، ومهما قالت نفسك: ما معنى هذا؟ فقل لها: لست مطلوبًا بمعناه[٧].

ويقول علي نور الدين اليشرطي: والله ما أخذناها بالسماع، ما أخذناها إلا بالذكر...[٨].

ويقول ابن عطاء الله السكندري:

الذكر الرابع: (الله) ؛ ويسمى: الذكر المفرد؛ لأن ذاكره مشاهد لجلال الله وعظمته، فانٍ عن نفسه، قال الله تعالى: {قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام:٩١][٩].

❖ ملحوظة:

يستعمل ابن عطاء الله الآية في غير معناها الذي أنزلت له، أي يستعمل التأويل.

فماذا يحدث للذاكر؟...لنستمع إلى أقوالهم:

يقول علي نور الدين اليشرطي:

ما زال العبد يذكر الله حتى يستولي عليه الاسم، ومتى استولى عليه الاسم انطوت العبدية بالربية، وظهرت عليه صفات الرب[١٠]...

أقول: إن سأل سائل: ما هي صفات الرب التي تظهر عليه؟ فالجواب: هي الهلوسات التي يشاهدها أثناء الجذبة! ويشاهد فيها أنه الله (جل الله) بأسمائه وصفاته.

ويقول عبد المجيد الخاني النقشبندي:

واعلم أن المريد الصادق إذا اشتغل بالذكر على وجه الإخلاص، يظهر عليه أحوال عجيبة وخوارق غريبة، وهي ثمرات أعماله من فضل الله تعالى عليه، إما تطمينًا لقلبه وتأنيسًا، وإما ابتلاءً من الله تعالى وامتحانًا له. فالواجب عليه أن لا يلتفت إليها ولا يغتر بها، لئلا ينقطع بها عن مقصوده (مشاهدة الوحدة). ولهذا قال العارفون بالله تعالى: أكثر من انقطع من المريدين بسبب وقوعهم في الكرامات[١١]، وخلاصة ما تقدم:

إذا اشتغل المريد بالذكر، وهو عادة الاسم المفرد (الله)، واستمر عليه ليلاً ونهارًا أيامًا كثيرة، قد تقصر وقد تطول، وقد تمتد إلى ما يزيد عن عشرين سنة، كما حصل لعبد القادر الجيلاني، تظهر أمامه خوارق؛ كأنْ

يرى أشخاصًا يظهرون فجأة ويختفون فجأة، أو يسمع أصواتًا، أو تحدث أمامه حوادث غير عادية وغير معروفة السبب؟ أو قد يحدث مع بعضهم أن يسير فوق الماء أو يطير في الهواء.

هذه الخوارق ليست لازمة بالضرورة، فقد لا يحصل شيء منها، وإذا حصلت فإنهم يتواصون بإهمالها وعدم الالتفات إليها والاغترار بها؛ لأن غايتهم هي الوصول إلى الجذبة التي يستشعرون فيها وبها الألوهية ويذوقونها.

يستمر السالك بالذكر. وقد يلجأ إلى الرياضة (المجاهدة) كعامل مساعد، وقد يبدل الخلوة في غرفة بالسياحة في القفار، مع الجوع والسهر والمشاق، ويبقى يذكر ويذكر حتى يصل إلى الجذبة التي هي الهدف الأول، وتكون عادة سريعة الزوال في أول الأمر، عندئذ يسمونه: المجذوب أو الولي أو الواصل...، ويعنون بكلمة (مجذوب) أن الله سبحانه جذبه إليه، وينصحونه ألا يغتر بالجذبات القليلة السريعة الزوال، بل عليه أن يستمر في الذكر، حتى يزداد عدد جذباته ويزداد طولها، ثم حتى يشاهد فيها وبها المشاهد.

يبقى المريد (أو السالك) هكذا مستمرًا حتى تصبح الجذبة طوع يديه، ففي أي وقت يريدها يبدأ بالذكر، وما هي إلا دقائق حتى يقع فيها، بل قد يقع فيها بمجرد التفكير بها.

وقد يصل إلى مقام تتكرر عليه تلقائيًا دون ذكر، وهذا عندهم هو الأمل المنشود، ومن وصل إليه فهو البدل أو الوتد أو القطب أو الغوث (حسبما يوحي إليه شيطانه). على أن عند النقشبندية أسلوبًا أسرع (كما يقولون) في الوصول إلى الجذبة، وهو ترديد لا إله إلا الله، مع هز الرأس بالصورة التالية:

يدير المريد وجهه إلى اليمين حتى تصبح ذقنه فوق كتفه اليمنى، ويلفظ كلمة (لا).

ثم يدير وجهه بسرعة إلى الأمام ويضع ذقنه على صدره، ويلفظ كلمة (إله).

ثم يدير وجهه بسرعة أيضًا إلى اليسار، حتى تكون ذقنه فوق كتفه اليسرى، ويلفظ كلمة (إلا).

ثم يدير وجهه بسرعة دائمًا، إلى الأمام ويضع ذقنه فوق صدره، كما في الحركة الثانية، ويلفظ كلمة (الله)، ويعيد الكرة ويعيدها، وكل هذا يتم بأسرع ما يمكن.

ويقولون: إن القيام بهذه العملية واحدًا وعشرين مرة، يمكن أن يوصل إلى الجذبة، ومن لم يصل، فليعد الكرة، ثم ليعدها، وسيصل أخيرًا. ومن الناس من لا يصل مهما عمل وحاول.

ولقد انتقلت هذه الحركة إلى بعض الطرق الأخرى، لما فيها من سرعة في الوصول.

ولعل القارئ أدرك أن ترديد عبارة (لا إله إلا الله) أثناء هذه الحركة لا يقدم ولا يؤخر في الوصول إلى الجذبة، وأن الفعل كله لهز الرأس بالشكل المذكور، ويا لها من ولاية! تهز رأسك فتصبح وليًا لله؟ (مرحبًا ولاية)!

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

الهوامش

(١) الفتوحات الإلهية، (ص:٣٢٨).

(٢) الفتوحات الإلهية، (ص:٣٣١ وما بعدها) بشكل متقطع.

(٣) الفتوحات الإلهية، (ص:٣٣١).

(٤) الفتوحات الإلهية، (ص:٣٣٨).

(٥) عرفت القهوة والمقاهي في استانبول عام (٩٦٢هـ)، الموافق لـ(١٥٥٥م)، حيث جاء سوريان، أحدهما من حلب، والثاني من دمشق، وفتحا مقهيين في حي (تحت القلعة)، وهذا يعني أن القهوة كانت معروفة في سورية قبل ذلك.

(٦) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: (٣٥/١).

(٧) الفتوحات الإلهية: (ص:٣٣٨).

(٨) نفحات الحق، (ص:١١٣).

(٩) مفتاح الفلاح، (ص:٤٢).

(١٠) نفحات الحق، (ص:١١٠).

(١١) السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية، (ص:٣٧).

النساء وعالم الدراويش

فاطمة عبد الرءوف

لعل المتتبع لتاريخ الفرق والمذاهب التي ابتعدت كثيرًا أو قليلاً عن نهج الكتاب والسنة يرى بوضوح أن هذا الانحراف تتعدد جوانبه لتشمل الأصول والفروع جميعًا، وهذا ما يؤيده النظر العقلي أيضًا فكيف تستقيم الفروع والأصول معوجة، وهذا ما ينطبق تمامًا على الصوفية فعلى الرغم من تعدد طرقهم وفرقهم وتباين درجة الابتعاد عن منهج أهل السنة والجماعة في هذه الفرق، إلا أنهم جميعًا تجد لديهم درجة من الخلل في فقه الفروع وفقًا لدرجة ابتعادهم عن منهج أهل السنة في الأصول، ولو أخذنا قضايا النساء أنموذجًا لكان مثاليًا للتدليل على هذا الانحراف.

ففي الوقت الذي يغالون في النبي صلى الله عليه وسلم حتى يصل بعضهم بذلك لدرجة تقارب الشرك، نجد أنهم يعيبون لدرجة السخرية والاستهزاء على من يتبع سنته، وفي الموقف من النساء تحديدًا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد تزوج وحث الشباب على الزواج (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ..)[١] وعندما سئلت السيدة عائشة عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم قالت إنه كان يصوم ويفطر ويقوم الليل وينام ويتزوج النساء وعلق النبي على هؤلاء الذين بالغوا في الزهد سواء بالصيام أبد الدهر أو القيام طيلة الليل أو بالامتناع عن الزواج بقوله (فمن رغب عن سنتي فليس مني) [٢]

الزهد في الزواج:

أما الصوفية فلهم شأن آخر غير سنة النبي صلى الله عليه وسلم ..يذكر السراج الطوسي في اللمع (أن صوفيًا تزوج امرأة فبقيت عنده - على الزهد – ثلاثين سنة وهي بكر) [٣].

وذكر فريد الدين العطار في التذكرة أن صوفيًا تزوج أربعمائة امرأة ولم يجامع واحدة منهن [٤].

وإذا كان هذا العدد - أربعمائة امرأة – مبالغ فيه ولكن يؤخذ من الخبر تعدد حالات الزواج الصوري لدى هذه الطائفة. والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا كانوا يتزوجون أصلاً؟ لعلهم حاولوا التوفيق بطريقة سطحية لا تنم عن أي فقه بين سنة النبي صلى الله عليه وسلم في الزواج وبين أفكارهم المزيفة عن الزهد السلبي والحياء المتكلف.

يذكر الشعراني أن صوفيًا تزوج ابنة شيخه فمكث ثماني عشرة سنة لا يقربها حياء من والدها ومات عنها وهي بكر..فما هذا الحياء الغريب وكيف تزوج عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ابنتي النبي الكريم رضي الله عنهم جميعًا.

ومن الأفكار الغريبة والشاذة نصهم على إهمال الزوجة والأولاد - إن وجدوا أساسًا – ضاربين عرض الحائط بقوله صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله) [٥].

يقول الشعراني: إنه لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم أيتام ويأوي إلى منازل الكلاب) [٦].

ويروى عن أبي طالب المكي في قوت القلوب قوله: (من تزوج فقد ركن إلى الدنيا) وكان ممن ينهون عن الزواج أيضًا أبو سليمان الداراني فيقول: (ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير) [٧]، وعندما يعرض الزواج على مالك بن دينار يرفض مبررًا موقفه بقوله: (لو استطعت لطلقت نفسي أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة) [٨].

وعلى نفس هذا الفهم المعوج لطبيعة العلاقة الزوجية سارت العديد من النساء الصوفيات فلقد زهدت رابعة العدوية في الزواج فعندما تقدم لها عبد الواحد بن زيد وهو صوفي مثلها قالت له: يا شهواني اطلب شهوانية مثلك أي شيء رأيت فيمن حاله الشهوة، وعندما تقدم لها أمير البصرة محمد بن سليمان الهاشمي رفضت حتى أن يكون لها عبدًا ويشغلها عن الله طرفة عين.

بل إن الانحراف الفكري عند بعض المتصوفات شوه حتى معاني الأمومة الجميلة فهذه نسيبة بنت سلمان العابدة بعد أن تزوجت وأنجبت ولدًا جلست تناجي ربها وتقول: يا رب لم ترني أهلاً لخدمتك فشغلتني بالولد.

مكروه ولكن ..

غير أن هناك طائفة من المتصوفة ارتضت بالزواج بحكم الضرورة الواقعية التي جعلت غريزة الجنس في الإنسان من الغرائز الأساسية التي لا يمكن التخلص منها لا سيما في مرحلة الشباب وأدركت هذه الطائفة أن البديل الآخر قد يكون مأساويًا وهو اقتراف جريمة الزنا، كما أن التوقف عن الزواج والإنجاب يعني الخراب وضياع النسل يذكر المقريزي أن أبا الحسن وفا القرشي الأنصاري سئل عن حكمة الله في التزويج وفيه من الشغل ما لا يخفى - والسؤال في حد ذاته دليل واضح على ثقافة كراهة الزواج في الوسط الصوفي - فقال لأنه لما رأى ضعف النفوس البشرية مغلوبة لعوارضها المزاجية أذن لها فيما يفك عنها غلبة تلك العوارض عليها لئلا تشغله عنه، وشرط عليها مساس الحاجة ليكون الشغل في ذلك ،ألا ترى قوله تعالى: (ذلك أدنى ألا تعولوا) (النساء :٣) والعول الزيادة أي أدنى ألا تميلوا عن مولاكم إلى ما دونه فمن تزوج بنية صالحة كان عابدًا لله تعالى بتزوجه مع أن ذلك من ضمنه العصمة له من الزنا الذي هو أعظم الحجب عن الله تعالى وأما من تزوج لمحض الشهوة فقط فذلك الذي يشغله الزواج عن ربه).

ونلاحظ في النص السابق أنه تم تفسير الآية الكريمة بطريقة الصوفية في التأويل بحيث أصبح الزواج عبئًا يباعد عن المولى عز وجل لذا يجب التخفف منه.

ووفقًا للصوفية فإن المعتدلين منهم يرون أن هناك خيارين أمام الصوفي في موقفه من النساء إما الزواج أو التجريد.

ولقد أفرد الهجويري في كتابه كشف المحجوب بابًا بعنوان "آدابهم في التزويج" حيث يرى أن النكاح مباح للرجال والنساء وفريضة على من لا يستطيع التعفف عن الحرام وسنة لمن يستطيع أداء حق العيال.

أما التجريد فهو على النقيض من الزواج، والزواج والتجريد مرتبطان بفلسفة صوفية أوسع وهي اختيار الصحبة أم العزلة، فمن اختار الصحبة مع الخلق فإن الزواج شرطًا له، ومن يطلب العزلة عن الخلق كان لابد أن يختار التجريد.

ويرى الهجويري أن مشايخ الطرق الصوفية أكثرهم على التجريد والسؤال الملح أليس هذا ابتداع في الدين ومن أي فلسفة جاءوا بفكرة التجريد هذه، بل وفضلها غالبيتهم عن الزواج..قد يكون من المقبول أن يكون ترك الزواج خيارًا فرديًا لأي إنسان رجلاً كان أو امرأة أما أن يكون خيارًا فلسفيًا أو ذا صبغة دينية ويتم الترويج له في المجتمع فهذه بدعة زائفة لا يجوز بحال أن نتركها دون إدانة واضحة.

زيغ وضلال:

لا يكتمل الحديث عن المرأة عند الصوفية إلا بالبحث في عالم الصوفية المتفلسفة وعلى رأسهم ابن عربي، حيث يبلغ الزيغ مداه وفوضى الرأي درجتها القصوى حيث يرى هؤلاء أن المرأة هي الطريق إلى محبة الله فهي سلم الوصول إليه، يرى ابن عربي أن حب الإنسان للمرأة عين حبه؛ لأن المرأة في الأصل خلقت من الرجل من ضلعه القصيري وبالتالي هي مخلوقة من الرجل ومن ثم فإذا الرجل نفس هذه المرأة من نفسه اشتد حبه فيها وميله لها لأنها صورته فما رأى إلا الحق ولكن بشهوة حب والتذاذ، ومن هنا فإذا أحب الرجل المرأة رد حبهما الله فأحبه الله برجعته إليه وبعبارة أخرى المرأة وسيط للرجل يحب الله فيها حين تنقله من حبها إلى حب موجد لها [٩] ولا يخفى على أحد ما في هذا الكلام من شرك بل واستهزاء متناه بالعقل الإنساني وربط مزيف بين مشاعر جد مختلفة وسبحان الله العظيم فريق يرى في النساء قطيعة عن الوصول، وفريق يرى في النساء عين الوصول.

الهوامش:

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) الحديث في البخاري ومسلم ونصه: جاء ثلاثة نفر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال الثالث: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله أني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني).

(٣) السراج :اللمع، ص٢٦٤.

(٤) فريد الدين العطار: تذكرة الأولياء، ص٢٤١.

(٥) أخرجه الترمذي.

(٦) حلية الأولياء ٦/ ١٩٤.

(٧)عبد المتعال الجبري : المرأة في التصور الإسلامي ص٩٥.

(٨)المصدر السابق: ص١٦٣.

(٩) د.أحمد محمود الجزار: الفناء والحب الإلهي عند ابن عربي ص١٠٣.

بين شيخ التربية وشيخ العلم والتعليم

د. عبد الله الشارف

تمهيد: مفهوم القدوة عند الصوفية:

لعل من نافلة القول أن شيخ الطريقة يعتبر العمود الفقري لكل طريقة صوفية، فالشيخ كلما كان متمتعًا بصفات وأحوال نفسية وروحانية متميزة، اكتسبت طريقته مزيدًا من الصيت والذيوع وكثر مريدوها. وإن من أصول أصحاب الطرق، ضرورة وجود شيخ مأذون له أو لمن ينوب عنه في إعطاء الورد للمريد. وينظر المريدون إلى شيخهم نظرة المريض إلى الطبيب؛ فكما أن لأمراض البدن طبيبًا مختصًا في علاجها، كذلك الأمر فيما يتعلق بأمراض النفس وعلل القلوب، إذ يتصدى لها الشيخ الصوفي ويعالجها بما أوتي من علوم ومعارف وأحوال يستطيع بواسطتها استكشاف نفسية المريض، والوصول إلى مكامن الداء والمرض في قلبه، ثم يصف له العلاج ويداويه بما يناسبه من الدواء.

ويجب على المريد كي يحقق ما يريد تحقيقه، أن يتأدب مع شيخه كل الأدب، ويطيعه فيما أمر ونهى، ويكن له الاحترام والتعظيم.

قال محيي الدين بن عربي في أول الباب الواحد والثمانين بعد المائة من كتاب "الفتوحات المكية":

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله ... فقم بها أدبًا لله بالله
هم الأدلاء والقربى تؤيدهم ... على الدلالة تأييدًا على الله
كالأنبياء تراهم في محاربهم ... لا يسألون من الله سوى الله
فإن بدا منهم حال تولهم ... عن الشريعة فاتركهم مع الله

وقال أبو حامد الغزالي: "فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض (!!؟) وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فمن سلك سبيل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها، فإنها تجف على القرب، وإن بقيت مدة وأورقت لم تثمر. فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطئ النهر بالقائد...، وليعلم أن نفعه في خطأ لو أخطأ أكثر من نفعه في صواب نفسه لو أصاب، فإذا وجد مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه أن يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو أربعة أمور: الخلوة، والصمت، والجوع، والسهر."[1]

ويقول محمد الرفاعي الصيادي في كتابه "قلادة الجواهر": "ومن آداب المريد اللازمة أولاً: حفظ قلب شيخه، ومراعاته في الغيبة والحضور... والتواضع له ولذريته وأقاربه، وثبوت القدم على خدمته، وأوامره كليها وجزئيها، وربط القلب به، واستحضار شخصه في قلبه في جميع المهمات، واستمداد همته، والفناء فيه، وأن يكون ملازمًا له لا يفتر عنه طرفة عين، ولا ينكر عليه ما ظهر منه من صفة عيب، فلربما يظهر من الشيخ ما لا يعلمه المريد"[2].

ثم إن المريد لا يتعلق قلبه بشيخ سوى شيخه، ويفرده بالتعظيم والتبجيل ويتخذه وحده قبلة وقدوة. قال عبد الوهاب الشعراني: "ومن شأنه أن لا يكون له إلا شيخ واحد، فلا يجعل له قط شيخين؛ لأن مبنى طريق القوم على التوحيد الخالص، وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الواحد والثمانين ومائة من "الفتوحات المكية" ما نصه: "اعلم أنه لا يجوز لمريد أن يتخذ إلا شيخًا واحدًا لأن ذلك أعون له في الطريق، وما رأينا مريدًا قد أفلح على يد شيخين، فكما أنه لم يكن وجود العالم بين إلهين ولا المكلف بين رسولين ولا امرأة بين زوجين، فكذلك المريد لا يكون بين شيخين"[3].

وقال عبد المجيد بن محمد الخاني النقشبندي في كتابه "السعادة الأبدية": "اعلم أيها الأخ المؤمن أن الرابطة عبارة عند ربط القلب بالشيخ الكامل، ... وحفظ صورته بالخيال ولو عند غيبته أو بعد وفاته، ولها صور؛ أهونها أن يتصور المريد صورة شيخه الكامل بين عينيه، ثم يتوجه إلى روحانيته في تلك الصورة، ولا يزال متوجهًا إليها بكليته حتى يحصل له الغيبة أو أثر الجذب... وهكذا يداوم على الرابطة حتى يفنى عن ذاته وصفاته في صورة الشيخ... فتربيه روحانية الشيخ بعد ذلك إلى أن توصله إلى الله تعالى، ولو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، فبالرابطة يستفيض الأحياء من الأموات المتصرفين"[4].

لا شك أن القارئ الكريم قد فهم من خلال هذه النصوص جانبًا مهمًا من جوانب العلاقة التي تربط المريد بشيخه الطرقي، والتي تبدأ بأصناف التأدب والاحترام وتنتهي بالغيبة

والفناء في صورة شيخه التي لا تفارق خياله طرفة عين، ومن هنا لا يعجب المرء إذا سمع بمريد يستغيث بشيخه ويستنجده وهو غائب عنه أو قد ارتحل إلى الآخرة.

نقد مفهوم القدوة الصوفية:

قال العلامة أحمد بن تيمية: "وخير الشيوخ الصالحين، وأولياء الله المتقين: أتبعهم له وأقربهم وأعرفهم بدينه وأطوعهم لأمره: كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي. وسائر التابعين بإحسان، وأما الحسب فلله وحده ولهذا قالوا: (حسبنا الله ونعم الوكيل) ولم يقولوا ورسوله... فليس لأحد أن يدعو شيخًا ميتًا أو غائبًا: لا من الأنبياء ولا غيرهم، فلا يقول لأحدهم: يا سيدي فلان أنا في حسبك أو في جوارك، ولا يقول: بك أستغيث وبك أستجير"[٥] ثم إن أسلوب التلقي الذي ينتهجه المريد مع شيخه الطرقي، لا يخلو من عيوب معرفية وتربوية وأخطاء تعبدية وشرعية، ذلك أن هذه العلاقة تجعل المريد محصورًا في دائرة مغلقة بحيث يكون الشيخ بمثابة النواة المركزية، والمريدون عبارة عن إلكترونات تحوم حولها، ومن ثم فإن المعارف والأفكار التي يكتسبها المريد يستمدها من روح شيخه وشخصيته؛ إما يقظة وإما منامًا، فيتشكل عنده نمط فكري واحد ينتظم من خلاله وبواسطته تصوره الوجودي والكوني، وكذا حياته الاجتماعية والدينية. وهكذا تغدو عين الشيخ المصدر الوحيد للإلهامات والإشراقات المعرفية، وبما أن المريد ينظر إلى شيخه الطرقي بعين الرضا والمحبة والتقديس، فإن عقله عاجز عن إدراك ما يمكن أن يصدرعنه من أخطاء وهفوات، وكيف يصدر ذلك عن الشيخ الكامل والقطب الرباني صاحب الأحوال والمقامات ؟!!. فالدين هو ما يفهمه شيخه والعبادة هي التي يمارسها ويدعو إليها.

ومما له علاقة بأسلوب التلقي المشار إليه ما يتلقاه المريد عن شيخه من الأوراد التي بواسطتها يتقوى قلبه وتصبو نفسه نحو الترقي في الأحوال والمقامات، بيد أن هذا الترقي كثيرًا ما يؤدي بصاحبه إلى الوقوع في الجذب أوالفناء، ما قد يدفع به إلى العزلة التامة عن المجتمع، وهذا ما لا يحصل للمسلم الذي يذكر الله كما أمر، وكما بين نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه، في سنته المطهرة.

قال الفقيه أحمد بن تيمية: "وكذلك العباد: إذا تعبدوا بما شرع الله من الأقوال والأعمال ظاهرًا وباطنًا، وذاقوا طعم الكلم الطيب والعمل الصالح الذي بعث الله به رسوله لوجدوا في ذلك من الأحوال الزكية والمقامات العلية والنتائج العظيمة، ما يغنيهم عما قد حدث من نوعه كالتغبير ونحوه من السماعات المبتدعة الصارفة عن سماع القرآن، وأنواع من الأذكار والأوراد لفقها بعض الناس"[٦] .

وقال الإمام الأصولي أبو إسحاق الشاطبي: "إن اتباع الهوى طريق إلى المذموم، وإن جاء في ضمن المحمود؛ لأنه إذا تبين أنه مضاد بوضعه لوضع الشريعة، فحيثما زاحم مقتضاها في العمل كان مخوفًا. أما أولاً فإنه سبب تعطيل الأوامر وارتكاب النواهي؛ لأنه مضاد لها. وأما ثانيًا فإنه إذا اتبع واعتيد ربما أحدث للنفس ضراوة وأنسًا به، حتى يسري معها في أعمالها، ولا سيما وهو مخلوق معها ملصق بها في الأمشاج. فقد يكون مسبوقًا بالامتثال الشرعي فيصير سابقًا له، وإذا صار سابقًا له صار العمل الامتثالي تبعًا له وفي حكمه، فبسرعة ما يصير صاحبه إلى المخالفة، ودليل التجربة حاكم هنا.

وأما ثالثًا، فإن العامل بمقتضى الامتثال من نتائج عمله الالتذاذ بما هو فيه، والنعيم بما يجتنيه من ثمرات الفهوم، وانفتاح مغاليق العلوم. وربما أكرم ببعض الكرامات، أو وُضِع له القبول في الأرض فانحاش الناس إليه، وحلقوا عليه، وانتفعوا به، وأموه لأغراضهم المتعلقة بدنياهم وآخراهم..."[٧] .

لاحظ معي أيها القارئ اللبيب كيف نبه المحقق الأصولي أبو إسحاق على هذه المسألة الدقيقة، وبين فيها أن اتباع الهوى يجر المسلم إلى المذموم وإن جاء في ضمن المحمود. فالشيخ الطرقي الذي وضع أورادًا وصيغًا للذكر على طريقة غير طريقة الشرع الحكيم وعلى منهج لا عهد لأصحابه والتابعين به، يكون قد ابتدع في أمر تعبدي وقفي لا مجال فيه للاجتهاد أو إبداء الرأي، وإن بدا له أن هذه الأوراد والأذكار تدور في فلك ما هو محمود ومحبب إلى الله سبحانه. وهذا باب من الأبواب التي سلكها كثير من السالكين والعباد فزلت فيها أقدامهم.

بين شيخ العلم والتعليم وشيخ التربية:

بعد هذا الكلام الموجز حول مفهوم القدوة عند الشيخ الطرقي، وعن أسلوب التلقي المعتمد بين المريد وشيخه، وعن طبيعة الأوراد والأذكار التي يضعها شيوخ الطرق الصوفية، وماذا قال في شأنها بعض العلماء والفقهاء. . أنتقل إلى مناقشة مفهوم الشيخ الطرقي باعتباره شيخ تربية. وهل يتوجب على المسلم المتعلم أن يتخذ شيخًا من شيوخ التربية يسلك به طريقة معينة في العبادة وتزكية النفس أم يقتصر على شيوخ العلم والتعليم ويتفقه على أيديهم ؟

ليس مثلي من يجيب عن هذا السؤال أو يحسم فيه ولكني "أعطي القوس باريها" كما قال الشاعر:

يا باري القوس بريًا ليس تحسنه لا تفسِدَنْها وأعط القوس باريها

أقول وبالله التوفيق: ذكر عبد الفتاح أبو غدة في هامش من هوامش تحقيقه لكتاب "رسالة المسترشدين" لأبي عبد الله الحارث المحاسبي، ما نصه:

"وقد كتب الإمام الفقيه الأصولي المحدث النظار أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الغرناطي، صاحب كتاب "الموافقات" و"الاعتصام" وغيرهما من الكتب النفيسة الباهرة، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، من غرناطة قاعدة الأندلس، إلى شيخ الصوفية في عصره أبي عبد الله محمد بن عباد النفزي، خطيب جامع القرويين في مدينة فاس، المتوفى سنة ٧٩٢ هـ رحمهما الله تعالى.

كتب إليه يسأله عن مسألة وقعت في غرناطة، واختلفت فيها أنظار العلماء، وكثر فيها القيل والقال، وهي: هل على السالك إلى الله تعالى أن يتخذ – لزامًا- شيخ طريقة وتربية يسلك على يديه؟ أم يسوغ له أن يكون سلوكه إلى الله تعالى من طريق التعلم والتلقي من أهل العلم دون أن يكون له شيخ طريقة؟

فكتب إليه الشيخ ابن عباد رحمه الله تعالى كتابة العالم المنصف المخلص، فقال له ما خلاصته: كما في كتابه "الرسائل الصغرى ص ١٠٦ وما بعدها وص ١٢٥ وما بعدها "الشيخ المرجوع إليه السلوك ينقسم إلى قسمين: شيخ تعليم وتربية، وشيخ تعليم بلا تربية.

فشيخ التربية ليس ضروري لكل سالك، وإنما يحتاج إليه من فيه بلادة ذهن واستعصاء نفس. وأما من كان وافر العقل منقاد النفس، فليس بلازم في حقه، وتقيده به من باب الأولى. وأما شيخ التعليم فهو لازم لكل سالك.

أما كون شيخ التربية لازمًا لمن ذكرناه من السالكين فظاهر؛ لأن حجب أنفسهم كثيفة جدًا، ولا يستقل برفعها وإماطتها إلا الشيخ المربي، وهم بمنزلة من به علل مزمنة، وأدواء معضلة من مرض الأبدان، فإنهم لا محالة يحتاجون إلى طبيب ماهر يعالج عللهم بالأدوية القاهرة.

وأما عدم لزوم الشيخ المربي لمن كان وافر العقل منقاد النفس، فلأن وفور عقله وانقياد نفسه يغنيانه عنه، فيستقيم له من العمل بما يلقيه إليه شيخ التعليم ما لا يستقيم لغيره. وهو واصل بإذن الله تعالى، ولا يخاف عليه ضرر يقع له في طريق السلوك إذا قصده من وجهه، وأتاه من بابه.

واعتماد شيخ التربية هو طريق الأئمة المتأخرين من الصوفية، واعتماد شيخ التعليم هو طريق الأوائل منهم. ويظهر هذا من كتب كثير من مصنفيهم، كالحارث المحاسبي، وأبي طالب المكي، وغيرهما، من قبل أنهم لم ينصوا على شيخ التربية في كتبهم على الوجه الذي ذكره أئمة المتأخرين، مع أنهم ذكروا أصول علوم القوم وفروعها، وسوابقها ولواحقها، لا سيما الشيخ أبو طالب، فعدم ذكرهم له دليل على عدم شرطيته ولزومه في طريق السلوك.

وهذه هي الطريقة السابلة . أي المسلوكة - التي انتهجتها أكثر السالكين، أشبه بحال السلف الأقدمين، إذ لم ينقل عنهم أنهم اتخذوا شيوخ التربية، وتقيدوا بهم والتزموا معهم ما يلتزمه التلامذة مع الشيوخ المربين، وإنما كان حالهم اقتباس العلوم، واستصلاح الأحوال بطريق الصحبة والمؤاخاة بعضهم لبعض. ويحصل لهم بسبب التلاقي والتزاور مزيد عظيم يجدون أثره في بواطنهم وظواهرهم، ولذلك جالوا في البلاد، وقصدوا إلى لقاء الأولياء والعلماء والعباد"[٨].

يستفاد من جواب محمد بن عباد النفزي شيخ الصوفية في عصره، أن شيخ التعليم هو المعول عليه في تحصيل العلوم والمعارف وهو قبلة كل سالك يسلك سبيل العلم والاستقامة ويريد التزود للدار الآخرة. والأحاديث النبوية في طلب العلم وكتبه وتحصيله وارتياد مجاله كثيرة جدًا كما أن علماء الأمة وفقهاءها كتبوا في هذا الموضوع رسائل ومصنفات عديدة، والنبي صلى الله عليه وسلم أشار في أحاديثه إلى قدر العالم وأهميته وعلو مرتبته، وكونه أفضل من العابد؛ لأنه يفقه الناس ويعلمهم أمور دينهم ودنياهم. وإذا استقرأنا هذه الأحاديث المتعلقة بالعلم والعلماء لا نجد فيها ذكرًا لشيخ التربية أو الطريقة؛ لأن العلماء الأتقياء الربانيين المشار إليهم في الأحاديث النبوية هم أولى الناس بتربية السالكين المتعلمين، فهم يقذفون في قلوب المتعلمين علوم الكتاب والسنة وغيرها من العلوم، مصحوبة بالخشية والتواضع واستحضار عظمة الله سبحانه، إلى غير ذلك من المعاني الروحية والإيمانية التي تنور قلوب أولئك المتعلمين، فيتعلمون العلوم والمعارف كما يتعلمون مبادئ التربية، والاستقامة، والأخلاق الحسنة، ومحبة الله ورسوله. لهذا جاء في نص الجواب: "وهذه هي الطريقة السابلة أي المسلوكة التي انتهجها أكثر السالكين، وهي أشبه بحال السلف الأقدمين، إذ لم ينقل عنهم أنهم اتخذوا شيوخ التربية وتقيدوا بهم، وإنما كان حالهم اقتباس العلوم استصلاح الأحوال بطريقة الصحبة

والمؤاخاة بعضهم لبعض " وفي قوله رحمه الله "اعتماد شيخ التربية هو طريقة الأئمة المتأخرين من الصوفية، واعتماد شيخ التعليم هو طريق الأوائل منهم يذكرنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " خير الناس قرني ثم الذين يلونهم "[٩].

فالأولى اعتماد شيخ التعليم لأنه الأصل، أما شيخ التربية فلم يكن له ذكر في القرون الأولى وإنما ظهر في القرون المتأخرة بسبب استشراء داء البلادة وتكاثر أصحاب الحجب والعلل النفسية، وأمراض القلوب والغفلة. ولا يفوتني أن أنوه بالنزاهة العلمية، والموضوعية التامة لهذا العالم الجليل محمد بن عباد النغزي رحمه الله، حيث لم تمنعه مشيخته الصوفية من ترجيح كفة شيخ التعليم، والانتصار للعلم والفقه، ومنح الأولوية والأسبقية لهما، في حين جعل دائرة شيخ التربية أو شيخ الطريقة ضعيفة جدًا، لا تضم إلا "من فيه بلادة ذهن واستقصاء نفس".

فتأمل معي أيها القارئ الفطن، واستعمل ذهنك الثاقب، وانظر كيف كان علماء القرون الماضية من أصحاب الذوق الصوفي النقي يفهمون التصوف، ويقيدونه بالشريعة، ويضبطون قواعده بضوابط الكتاب والسنة، حتى تذوب ماهية التصوف في ماهية الإسلام، وتتلاشى علامات التمييز، ويبقى الحق هو ما جاء به القرآن وكلام الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. لكن خلف من بعدهم خلف انحرفوا عن هذا النهج القويم، وجعلوا شيخ التربية أو شيخ الطريقة أولى من شيخ التعليم. بل اعتبروا تحصيل العلوم سببًا في حرمان النفس من التزكية والاستقامة والترقي في مدارج الإيمان !! أو مانعًا يحول دون الوصول إلى عالم الأذواق والحقائق الروحية والمعارف الكشفية والإلهامية !!، ناهيك عن الاعتقادات الفاسدة الضالة، المتعلقة بذوات هؤلاء الشيوخ، وكراماتهم وتصرفاتهم في النفوس والعوالم!!

ويقول شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله في معرض الحديث عن شيخ التربية أو الطريقة: "ومن أمكنه الهدى من غير انتساب إلى شيخ معين فلا حاجة به إلى ذلك. ولا يستحب له ذلك، بل يكره له. وأما إن كان لا يمكنه أن يعبد الله بما أمره إلا بذلك، مثل أن يكون في مكان يضعف فيه الهدى والعلم والإيمان والدين، يعلمونه ويؤدبونه، لا يبذلون له ذلك إلا بانتساب إلى شيخهم، أو يكون انتسابه إلى شيخ يزيد في دينه وعلمه، فإنه يفعل الأصلح لدينه. وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه، وإلا فلو طلب الهدى على وجهه لوجده"[١٠].

بعد أن أشار شيخ الإسلام أحمد بن تيمية إلى أن السالك ملتمس الهدى لا يلزمه "الانتساب إلى شيخ" ويقصد شيخ الطريقة، بل "لا حاجة به إلى ذلك"... نبه في آخر كلامه على مسألة التفريط، إذ قال: "وهذا لا يكون في الغالب إلا لتفريطه"، وإلا فهو طلب الهدى على وجهه لوجده". وهذا ما يلاحظ في عصرنا، إذ تجد معظم المريدين الذين يلتفون حول شيخ من شيوخ الطريقة، قد فرطوا في تحصيل العلوم والتفقه في الدين، واستثقلوا ذلك لما فيه من العناء والمشقة، واستوعروا طريق العلم، وقالوا نحن ضعفاء ولن يصلح أحوالنا إلا شيخ طريقة صوفية، ونسوا أن أول ما أمر به الله تعالى القراءة وطلب العلم، حيث يقول جل وعلا في سورة العلق: "اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم".

أي أنه أوجب علينا القراءة، وتحصيل العلم، وتدبر القرآن، وفي ذلك حث على إعمال العقل، وتحريك آليات الذهن وتفعيلها، وتفجير الطاقات الروحية الكامنة في القلب بواسطة التفكير والتأمل والاستدلال، مع الاسترشاد بالوحي كتابًا وسنة، والجلوس مع أولي العلم من العلماء والفقهاء الربانيين.
أما الارتماء في أحضان شيخ طرقي، والاعتماد عليه وحده في عبادة الله وصلاح النفس وتزكيتها وإبطال العمل بمقتضيات "اقرأ باسم ربك"، وما يتبع ذلك من تدبر وتأمل وتحصيل وإرادة واستغلال لآليات ومناهج المعرفة، وربط ذلك كله بفقه الواقع ووظيفة الاستخلاف، فإنه تفريط ما بعده تفريط، وتقصير في القيام بواجب تحصيل العلم والمعرفة، ويكون السالك بذلك قد طلب الهدى على غير وجهه، إذ كما قال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية "لو طلب الهدى على وجهه لوجده".

موقف الإمام الشوكاني؛

وأخيرًا أختم هذا الموضوع بما ختم به الإمام محمد بن علي الشوكاني في كتابه "أدب الطلب ومنتهى الأرب"، وهو كتاب أنصح طلاب العلم بقراءته لما يحويه من موضوعات نفسية متعلقة بمنهجية تحصيل العلوم الإسلامية، ودور العلماء في النصح والتوجيه ومحاربة الجهل والتقليد والتعصب... .

يقول الإمام الشوكاني رحمه الله وهو يتحدث عن "ابتلاء الإسلام بالمذاهب وتقديس الأموات": "... ويلتحق بالأمرين المذكورين أمر ثالث: وإن لم تكن مفسدته كمفسدتهما، ولا شموله كشمولهما، وهو ما صارت عليه هذه الطائفة المدعوة

بالمتصوفة، فقد كان أول هذا الأمر، يطلق هذا الاسم على من بلغ في الزهد والعبادة إلى أعلى مبلغ، ومشى على هدي الشريعة المطهرة، وأعرض عن الدنيا وصد عن زينتها، ولم يغتر ببهجتها، ثم حدث أقوام جعلوا هذا الأمر طريقًا إلى الدنيا، ومدرجًا إلى التلاعب بأحكام الشرع، ومسلكًا إلى أبواب اللهو والخلاعة، ثم جعلوا لهم شيخًا يعلمهم كيفية السلوك، فمنهم من يكون مقصده صالحًا وطريقته حسنة، فيلقن أتباعه كلمات تباعدهم من الدنيا وتقربهم من الآخرة، وينقلهم من رتبة إلى رتبة، على أعراف يتعارفوها، ولكنه لا يخلو غالب ذلك من مخالفة للشرع وخروج عن كثير من آدابه. والخير كل الخير في الكتاب والسنة، فما خرج عن ذلك فلا خير فيه، وإن جاءنا أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، وأتقاهم لله تعالى وأخشاهم له في الظاهر فإنه لا زهد لمن لم يمش على الهدي النبوي، ولا تقوى ولا خشية لمن لم يسلك الصراط المستقيم. فإن الأمور لا تكون طاعات بالتعب فيها والنصب وإيقاعها على أبلغ الوجوه. بل إنما تكون طاعات خالصة محضة مباركة نافعة لموافقة الشرع، والمشي على الطريقة المحمدية.

ولا أنكر أن في هذه الطائفة من قد بلغ في تهذيب نفسه وغسلها من الطواغيت الباطنة والأصنام المستورة عن الناس، كالحسد والكبر والعجب والرياء ومحبة الثناء والشرف والمال والجاه مبلغًا عظيمًا، وارتقى مرتقًا جسيمًا، ولكني أكره له أن يتداوى بغير الكتاب والسنة، وأن يتطبب بغير الطب الذي اختاره الله لعباده، فإن في القوارع القرآنية والزاجر المصطفوية، ما يغسل كل قذر، ويدحض كل درن، ويدمغ كل شبهة، ويدفع كل عارض من عوارض السوء. فأنا أحب لكل عليل في الدين أن يتداوى بهذا الدواء، فيعكف على تلاوة كتاب الله متدبرًا له متفهما لمعانيه، باحثًا عن مشكلاته، سائلاً عن معضلاته ويديم النظر في كتب السنة المعتبرة عند أهل الإسلام كالأمهات الست وما يلحق بها. ويستكثر من مطالعة السيرة النبوية، ويتدبر ما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليله ونهاره، ويتفكر في أخلاقه وشمائله، وهديه وسمته، وما كان عليه أصحابه وكيف كان هديهم في عباداتهم ومعاملاتهم. فإنه إذا تداوى بهذا الدواء ولاحظته العناية الربانية، وجذبته الهداية الإلهية، فاز بكل خير مع ما له من الأجر الكثير، والثواب الكبير، في مباشرة هذه الأسباب وإذا حال بينه وبين الانتفاع بهذه الأمور حائل، ومنعه من الظفر بما يترتب عليها مانع، فقد نال بتلك الأسباب التي باشرها أجرًا عظيمًا؛ لأنه طلب الخير من معدنه، ورام نيل الرشد من موطنه، فكان له في تلك الأشغال من الأجر ما لطلبة علم الشرع؛ لأنه قد جهد نفسه في الأسباب، ولم يفتح له الباب.

وبعد هذا كله فلست أجهل أن في رجال هذه الطائفة المسماة بالصوفية من جمع الله له بين الملازمة لهذه الشريعة المطهرة والمشي على الطريقة المحمدية والصراط الإسلامي، مع كونه قد صار من تصفية باطنه من كدورات الكبر والعجب والحسد والرياء ونحوها بمحل يتقاصر عنه غيره، ويعجز عنه سواه، ولكني في هذا المصنف بسبب الإرشاد إلى العمل بالكتاب والسنة، والتنفير عما عداهما كائنًا ما كان. فلست أحب لمن أراد القرب إلى الله والفوز بما لديه والظفر بما عنده، أن يتسبب إلى ذلك بسبب خارج عنهما من رياضة أو مجاهدة أو خلوة أو مراقبة، أو يأخذ عن شيخ من شيوخ الطريقة الصوفية شيئًا من الاصطلاحات الموصلة إلى الله عندهم، بل يطلب علم الكتاب والسنة، ويأخذهما عن العلماء المتقنين لهما المؤثرين لهما على غيرهما المتجنبين لعلم الرأي وما يوصل إليه، النافرين عن التقليد وما يحمل عليه، فإنه إذا فعل ذلك سلك مسلك النبوة، وظفر بهدي الصحابة، وسلم من البدع كائنة ما كانت، فعند ذلك يحمد مسراه، ويشكر مسعاه، ويفوز بخير أولاه وأخراه".

لقد أحسن الإمام محمد بن علي الشوكاني الكلام عندما تعرض لمسألة الموازنة بين سلوك المتصوفة وسلوك غيرهم ممن يتقيد بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الصحابة والتابعين، وأثنى على أهل الطائفة الأولى قائلاً: "ولا أنكر أن في هذه الطائفة من قد بلغ في تهذيب نفسه وغسلها من الطواغيت الباطنية... مبلغًا عظيمًا"، أو قوله "فلست أجهل أن في هذه الطائفة المسماة بالصوفية من قد جمع الله له بين الملازمة لهذه الشريعة المظهرة... . ." لكنه عقب قائلاً: "فلست أحب لمن أراد القرب إلى الله والفوز بما لديه والظفر بما عنده أن... . . من رياضة أو خلوة... . . أو يأخذ عن شيخ من شيوخ الطرق الصوفية شيئًا من الاصطلاحات الموصلة إلى الله عندهم... بل بطلب علم الكتاب والسنة...".

كأني بهذا العالم القدوة يعض بنواجذه على سنة نبيه، وهو يرغب الناس في طلب الهدي من الكتاب والسنة والإعراض عما سواهما من الطرق التي قد تفضي بسالكيها إلى ما لا يحمد عقباه، لقد كان هذا العالم رحمه الله للعلم مجمعًا، وللدين مفزعًا، وعلمًا في علمه وزمانه.

وبعد، أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يكون القارئ اللبيب ذي الرأي الثاقب قد انقدح في قلبه، واستقر في عقله، أن القدوة المثلى لا تلتمس في شيوخ الطرق الصوفية، وإنما تطلب من معدنها الجوهري وعينها الفياضة: محمد صلوات الله وسلامه عليه، وصحابته ومن على أثرهم من العلماء الربانيين إلى يوم الدين.

لكن قد يقول قائل: إن العالم الرباني غدا كالكبريت الأحمر، أو دونه بيض الأنوق، فأنى لي بمن سيأخذ بيدي ويقيني المهالك؟ أقول له: لا يكون هذا الأمر مسوغاً لك أن تتخذ شيخًا طرقيًا، يرشدك ويقيك المهالك؛ لأننا معشر المسلمين أمة "اقرأ"، إن فقدنا العلماء فلن نفقد القرآن لأنه محفوظ، ولن نفقد السنة لأنها محفوظة أيضًا حسًا ومعنى. ويستحيل أن يخلو زمان من وجود عالم رباني؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق"؛ قال محمد بن إسماعيل البخاري: "وهم أهل العلم"(١١) ثم إننا لا نقدس الشيوخ الطرقيين ولا شيوخ العلم، بل لو افترضنا خلو قرية أو مدينة من عالم رباني يسترشد به الناس، فإنه لن يكون ذلك مانعًا من معرفة الحق والوصول إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن كتاب الله موجود والسنة مسطرة بين أيدينا. وهذا ما أشار إليه عالمنا النحرير الشوكاني بقوله: "فأنا أحب لكل عليل في الدين أن يتداوى بهذا الدواء فيعكف على تلاوة كتاب الله متدبرًا متفهمًا... إلى... فاز بكل خير".

ثم إن وجود الشيخ الطرقي أو العالم الرباني ليس شرطًا في نجاتنا، أي أن الفوز بالجنة ليس متوقفًا بالضرورة عليهما، وما أكثر المسلمين الذين شهد لهم الناس بالصلاح والاستقامة، مع أنهم لم يلازموا شيوخ الطرق ولا شيوخ العلم.

إن المنهج الصحيح لضبط السلوك وتفجير الطاقات العقلية والروحية، وتسيير السبل لتحقيق الاستخلاف، هو منهج الكتاب والسنة. لكن قومًا. غفر الله لهم. آثروا شخصية الشيخ الطرقي على شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولا يقولن قائل إنهم يحبون الرسول صلى الله عليه وسلم، أكثر مما يحبون شيوخهم. . هذا مستحيل فلا يمكن لشخصين أن يتغلغلا في قلب واحد. قال تعالى "ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه" (١٢).

فمن أحب النبي صلى الله عليه وسلم حبًا ملك شغاف قلبه، لا يستطيع حب غيره بنفس القوة. وكذلك من أحب شيخه وربط قلبه به، وحفظ صورته في خياله، وكان ملازمًا له- حيًا أو ميتًا- لا يفتر عنه طرفة عين، يصعب عليه أن يتوجه إلى روح نبيه صلى الله عليه وسلم بنفس الروح ويحبه بالقوة نفسها.

وأخيرًا شتان بين من يستلهم روح النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته ويكثر من ذكره والصلاة عليه، ويقتفي أثره ويهتدي بهديه هدي الفطرة، وبين من يستلهم روح شيخه الطرقي وشخصيته، ويثني عليه ويمدحه ويصحبه في خياله نومًا ويقظة. وشتان بين شخصية رسالية تبني رجال الدنيا والآخرة، وتؤسس أمة الاستخلاف، وشخصية طرقية مجالها الطريقة والزاوية والأوراد والطقوس، وغايتها استغفال واستعباد المريدين والأتباع.

الهوامش

(١) - أبو حامد الغزالي؛ "إحياء علوم الدين"، ج ٣، ص١١٢-١١٣، دار الحديث القاهرة، ١٤١٩- ١٩٩٨.

(٢) - محمد أبو الهدى الصيادي؛ "قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر"، ص ٢٧٨، ط. الأولى، ١٤٠٠-١٩٨٠، بيروت.

(٣) - عبد الوهاب الشعراني؛ "الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية"، ج١، ص٤٠، المكتبة العلمية، بيروت، ١٤١٢- ١٩٩٢.

(٤) - عبد المجيد الخاني الخالدي النقشبندي؛ "السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية"، ص. ٢٢- ٢٣، إسطانبول ١٤٠١- ١٩٨١.

(٥) - أحمد بن تيمية؛ "فتاوى ابن تيمية"، ج ١١، ص ٤٩٨- ٤٩٩، د. ت، د. ط. .

(٦) - أحمد بن تيمية؛ "اقتضاء الصراط المستقيم"، ص ٢٨٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرباط، ١٤١٩.

(٧)- أبو إسحاق الشاطبي؛ "الموافقات في أصول الشريعة"، المجلد ١، الجزء ٢، ص ١٣٣- ١٣٤، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت..

(٨) - عبد الفتاح أبو غدة؛ تحقيق "رسالة المسترشدين"، ص ٣٩- ٤٠، دار السلام، ط. ٥، ١٤٠٩- ١٩٨٨.

(٩) - حديث صحيح رواه البخاري.

(١٠) - أحمد بن تيمية؛ المرجع السابق، ص ٥١٤.

(١١) - انظر "فتح الباري، شرح صحيح البخاري"؛ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا تزال طائفة من أمتي..." من كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ج ١٥ ص ٩٠٨٧، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ط. ١ ١٤٢٠- ٢٠٠٠

(١٢)- سورة الأحزاب، آية ٤

فيما يرى التائه

محمد غباشي

خرج من غرفة الطبيب مكفهرّ الوجه.. غائر العينين.. لم تستطع ملامح وجهه البسيطة أن تخفي حالة الشرود التي سيطرت عليه.. احتضن قطعة لحمٍ الصغيرة التي لم يتجاوز عمرها أربعين يومًا.. أنجب ابنته الصغيرة بعد انتظار دام اثنتي عشرة سنة.. طاف فيها بين الأطباء المشاهير ومراكز الخصوبة وخبراء الأعشاب والإنجاب.. وفي نهاية الأمر تكلل تعبه وما لاقاه من مشقة وعناء بتلك الصغيرة الحسناء «جمانة»..

ورغم كل تلك الظروف الصعبة التي واكبت عملية الإنجاب إلا أنه كان لابد لفصول الابتلاء أن تكتمل.. فقد أنجبت زوجتُه الطفلةَ الصغيرة بمرض خطير في القلب.. أنفق الوالد خلال الأشهر الأربعة التي هي سن «جمانة» كل ما يملك من مال.. حتى استحال بيتهم أثرًا بعد عين..

أخبره الطبيب أن الخطب عظيم.. وأن الطفلة ستعيش حياتها بين الشك واليقين ما لم تُجرَ لها عملية تتكلف مبلغًا طائلاً تنوء به العصبة أولو القوة..

خرج الوالد من المستشفى وهو يحمل همًّا عظيمًا على كاهليه.. ينظر إلى عينيها الصغيرتين اللتين بالكاد تفتحتا فيلين قلبه حتى يكاد يذوب شفقة عليها..

- كيف لتلك المسكينة أن يكون فقري سببًا في شقائها وعذابها؟! كيف سأتحمل ما تشعر به من آلام وأوجاع؟! كيف ستكبر أمام عينيّ وأنا أرى شبح الموت يتربص بها كل لحظة؟!

هكذا حدّث نفسه وهو في طريقه إلى منزله..

فتح باب المنزل.. الكل تبدو على وجهه آثار القلق والترقب.. أخبر أمها الخبر.. زاد همّهما همًّا فوق همّ.. لم تكن من تلكم النسوة اللاتي يلمن أزواجهن على ما يملكون وما لا يملكون.. بل كانت عاقلة حكيمة.. استرجعت وسلمت لله أمرها..

رنّ جرس الهاتف.. إنه عم الفتاة يطمئن على نتيجة الكشف الذي أجراه الطبيب..

- ماذا قال الطبيب؟!

- ليس في الأمر جديد.. المرض ذاته الذي كان يشكّ فيه.. ثقب في القلب.. ولا بد من إجراء عملية.. والتكلفة بالدولار..

- سأسديك نصيحة.. اجعل الطبيب هو آخر الحلول.. سنذهب إلى (البرهومي)..

- وما (البرهومي)؟!

- إنه كاشف البلايا.. الدعاء عنده مستجاب.. ألم تزر قبره قبل ذلك؟!

- كلا.. هذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها هذا الاسم..

- إن مسجده في القرية المجاورة لنا.. يبعد عنا ربع ساعة بالسيارة..

- وماذا عن الطبيب؟!

- لن نحتاج إليه.. هذا الرجل موصول بالأسباب العليّة.. لن تندم.. لقد مات منذ مائتي سنة.. ومنذ مات وقُبِرَ ومسجده الذي قُبِر فيه لا يخلو.. ما بين زائر وداعٍ وذابحٍ وناذر.. والجميع تقضى حاجاتهم..

- دعني أفكر أولاً.. أريد البحث عن جهة تعطيني المال لأجري العملية.. ولكن من أين لي بمثل هذا المبلغ الضخم؟!

- اسمع نصيحتي.. لست في حاجة إلى كل هذا.. زيارة أو زيارتان على الأكثر وتشفى ابنتك تمامًا وتوفر على نفسك عناء البحث عمن يقرضك أو بتعبير أدق «يُذِلُّك».. فالدَّين ذل.. والمقرض غالبًا ما يمارس معك دور المتجبر بماله قبل أن يدفعه إليك.. فمال القرض ليس إلا وسمًا في وجهك تراه بين الناس ضعةً وذلاًّ وصغارًا..

- أرجوك.. دعني أقلّب الأمر في رأسي أولاً.. فقد عدت لتوّي من عند الطبيب.. ولا طاقة لي الآن للتفكير..

- الأمر إليك.. سأنتظر ردك.. ولكن كلما أسرعت كان الأمر في صالحك وابنتِك..

- إن شاء الله.. مع السلامة..

انطلق الوالد إلى غرفته وقد ملأ الحزن رأسه.. لا يستطيع أن يفكر لشدة ما شغل لبّه من مشاكسات في دماغه.. فتلمع في رأسه

صورة الطبيب وهو يخبره بحقيقة مرض «جمانة».. ثم صورة أخيه تطغى عليها عندما يتحدث عن بركات (البرهومي) ذلك الولي الصالح.. أو هكذا يقولون.. ثم يرى المحيطين بقبره يدعون ويسجدون.. وآخرون يقفون بباب المسجد يذبحون ويتمرغون.. وآخرون يضعون مبالغ بالآلاف في صندوق النذور.. أطبق جفنيه ليطفئ هذا الشريط من ذاكرته.. حتى راح في نوم عميق..

استغرق الوالد في النوم.. ورأى - فيما رأى - نفسه في بحر لجي أسود.. متلاطم الأمواج.. ويحمل بين يديه طبقًا من اللحم وقد تجمعت حوله النسور الجارحة من كل مكان تبتغي خطف قطعة منه.. تتناوشه الطيور الجارحة من جانب.. ويكاد يغرق في الدقيقة الواحدة عدة مرات من جانب آخر.. يبلغ الماء فاه وأنفه حتى يكاد يغشى عليه من كثرة ما يتعرض له من لطمات الماء.. وتنقر النسور رأسه بمناقيرها الحادة كي يضعفوه ويختطفوا منه قطعة اللحم..

وفي أثناء ذلك برز له رجل على مرمى بصره.. يلبس زيًّا أخضر أشبه ما يكون بأعواد البرسيم الزاهية.. كان يغرق هو الآخر.. وحوله تجمهر جمع من الغرقى كذلك.. الجميع يوشك على الغرق.. لم يجد الوالد بدًّا من أن ينادي الرجل لينقذه مما يعتريه.. نادى بأعلى صوته.. لا يسمع نفسه.. يحاول رفع صوته قدر استطاعته.. لا فائدة.. فجأة خرج الصوت مدوّيًا من بين شفتيه..

- أنقذني يا (برهومي)..

علتْ الدهشة وجهه..

- من أين لي باسمه؟! كيف تعرفت على شخصه؟! ومن هو؟!

في هذه اللحظة تذكر مكالمة أخيه.. (البرهومي) صاحب القبر في مسجد القرية المجاورة..

التفت إليه الرجل وهو يصارع الغرق.. يكاد يغرق هو الآخر..

- أنقذني يا (برهومي).. أنا في حاجة لمساعدتك..

هكذا صرخ الوالد..

- تحتاج عونًا مني؟! بل أنا من يحتاج قشة يتعلق بها.. إن استطعت أن تنقذني فافعل..

- كيف؟! أرجوك افعل شيئًا!!

- ليس عندي ما أقدمه لك.. فليمد أحد يد المساعدة لي ولك..

وفجأة.. هدأ كل شيء.. هدأت الريح والأمواج.. توقفت العواصف والرعود.. ظهر ضوء القمر منعكسًا على صفحة الماء فأحالها إلى الزرقة بعد سوادها الأعمى.. وتوقف الرجلان عن الغرق.. نظر كل منهما إلى الآخر.. وظهر في الناحية الشرقية منهما حبل متدلٍّ من أعلى.. نظر إليه (البرهومي) وأشار إلى الوالد..

- أترى ذلك الحبل المتدلي من السماء.. دونك فخُذْهُ.. تعلّق به ففيه نجاتك.. ولا يغرنّك زيي الأخضر ولا كثرة الغارقين حولي.. هيّا اذهب قبل أن تفوتك الفرصة..

نظر الوالد إلى الحبل.. انطلق إليه.. استلمه.. تشبث به.. بدأ في الصعود والارتقاء.. إلا أنه كلما صعد خطوة لأعلى نظر إلى البرهومي فإذا يداه تنزلقان فينزل عدة خطوات..

- لا تنظر إليَّ.. دونك السماء فانظر إليها.. اصعد.. اصعد..

غضّ الوالد طرفه عن البرهومي.. بل كاد يغمض عينيه لئلا يراه.. أخذ يصعد ويصعد حتى أدرك نهاية الحبل.. وهناك وجد لوحًا منشورًا يضرب بين الخافقين وإذا مكتوب فيه بحروف من نور لامع:

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان

استيقظ الوالد من نومه وهو يردد:

فإني قريب.. فإني قريب..

اغتنم فرصتك في رمضان

أ.خبَّاب بن مروان الحمد

حدَّثني أحد الإخوة الدعاة الفضلاء عن قصَّة شاب لم يبلغ السابعة عشرة من عمره، وكان يجري همُّ الدعوة في قلبه في كل وقت، وحين يقدم شهر رمضان كان يتهيَّأ له بالصالحات والبر والطاعات، ومن ذلك أنَّه كان يقف في نهار رمضان قبل أن يفطر الناس بربع ساعة على جانب الطريق، ثمَّ يذهب إلى مكان اصطفاف الناس وازدحامهم بسياراتهم عند الإشارات المروريَّة المتوقفة بضع دقائق، ويقوم بتوزيع الإفطار لأولئك الصائمين في سياراتهم مما تيسر من الرطب والكعك، ويرفق ذلك بمطويات دعويَّة ونشرات توجيهيَّة تحث على نشر الدين والفضيلة ومكارم الأخلاق، بابتسامة مشرقة، ووجه مضيء بالإيمان . نحسبه كذلك . وقد بقي على ذلك عدَّة سنوات يقوم بهذا العمل الفضيل.

وأثناء قيامه بهذا العمل كعادته في أحد الأيَّام، جاءت سيَّارة مسرعة عند تلك الإشارة، وقد كان واقفاً قربها فاصطدمت به فأرْدَتْه قتيلاً مضرَّجًا بدمائه، وهو صائم لله - عزَّ وجل - يقوم بتفطير الصوام، وإدخال السرور عليهم وعلى أولادهم، ويدعوهم إلى الله تعالى فهنيئًا له عمله ذلك، وتقبَّله الله تعالى في جنانه.

لقد أثَّرت هذه القصَّة في نفسي كثيرًا، وتذكَّرت حين سمعتها ذلك الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أنس بن مالك . رضي الله عنه . مرفوعًا إلى رسول الله . صلَّى الله عليه وسلَّم . :(إذا أراد الله بعبد خيرًا استعمله ، فقيل : كيف يستعمله يا رسول الله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل الموت) أخرجه الترمذي برقم:(٢١٤٢) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

ولو قارنَّا بين ذلك الشاب الداعية . رحمة الله عليه . وبين كثير من المسلمين في شتَّى البقاع الذين يمر عليهم رمضان تلو رمضان ، دون أن يغتنموا فيه تلك الفرص الجليلة التي قلَّما أن تجتمع بشهر كما اجتمعت في هذا الشهر، لوجدنا بينه وبينهم بونًا شاسعًا وفرقًا هائلاً فيمن يغتنم وقته بالطاعات ومن يغتنمه بالموبقات!

ولو أردنا أن نحرِّك أفكارنا، و نستخدم أذهاننا لالتقاط تلك الفرص والمغانم والمكاسب والثروات التي نستطيع أن نجنيها أو أن نبذرها في هذا الشهر. لطال بنا المقام، ولأدركنا قيمة هذا الشهر العظيم وما فيه من خيرات وبركات تنهال علينا ونحن عنها غافلون.

ففي هذا الشهر نستطيع أن نفعِّل الكثير من المشاريع الدعوية والأفكار الإصلاحيَّة، ونبذر الأعمال الصالحة، وننتهج سبل أهل الخير والسبق في استغلال الأوقات الفضيلة بما يفيد أمَّتنا ومجتمعنا.

•لماذا رمضان فرصة؟

لو تفكَّر كل واحد منَّا في طبيعة حياته ومسيرة أوقاته، فسيدرك أنَّنا نعيش كل ثانية وكل دقيقة بفرصٍ وأنفاسٍ لن تعود، وأنَّ هذه الأيام التي نقطعها ونفرح بها لبلوغ غاية أو لنيل مقصدٍ محبَّبٍ للنفس ، ستؤول في النهاية إلى النقصان من العمر، سواء شعرنا أم لم نشعر، وحينها لا مناص ولا فرار من الله إلاَّ إليه، لاغتنام هذه الأوقات بالنافع المفيد، وترك اللهو واللعب والأوقات الفارغة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، بل قد تجلب الحسرة والمرارة التي تعتصر قلب المرء، يوم أن يقول لربه : {رَبِّ ارْجِعُونِ ❖ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ} [المؤمنون:٩٩- ١٠٠].

إنَّ من أعظم الفرص بل هي الجامعة لكل الفرص التي نجتنيها ونكتسبها في شهر رمضان؛ فرصة العبوديَّة لله والقيام بحقِّه، والتوجه والافتقار إليه والانطراح بين يديه، فهي الحقيقة الكبرى في الكون والحياة، وجميع الفرص الأخرى متفرِّعة عن هذا الأصل العظيم الذي تندرج وتصب فيه كل أعمالنا وعباداتنا ومعاملاتنا.

•اغتنم فرصك واكتسبها:

يختلف الذين يستقبلون شهر رمضان، ولهم في ذلك طرق مختلفة ومتنوعة؛ فمنهم من يستقبله باللهو واللعب، ومنهم من يستقبله بالأكل والشرب، ومنهم من يستقبله بالنوم ومنهم من يستقبله ببرمجة وقته لمشاهدة البرامج والمسلسلات عبر شاشة الرائي(التلفاز)، إلى غير ذلك من أنواع الاستقبال.

وذلك هو استقبال المفرِّطين الذين لم يدركوا حقيقة فضائل هذا الشهر، ومنافع أيامه، وفوائد لياليه، وعظمة شعيرته.

غير أنَّ المؤمن السبَّاق لعمل الصالحات؛ فإنَّه يستقبله بالمسارعة إلى عمل الخيرات، وتجنُّب المنكرات، متمثِّلاً قول الله تبارك وتعالى:{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران:١٣٣] .

والمسابق لعمل الخيرات واقتناص الفرص، شيمته التطلُّع والترقب لكل فرص الخير وغنائم البر ومعارج القبول ليتقرب بها إلى ربِّ العالمين، ابتغاءَ مرضاة الله تعالى، وخوفًا من أليم عقابه.

والمسابق لعمل الخيرات يعلم يقينًا أنَّ الله ـ تعالى ـ حثَّ عباده على المسارعة والمسابقة لعمل الخيرات، كما قال عز وجل:{فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ} [البقرة: ١٤٨] وقال عزَّ وجل:{إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الجمعة: ٩]، ولكنه في أمور الدنيا يعلم أنَّ مسارعته فيها والمسابقة لطلبها تخالف المنهج القرآني الذي قال: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ} [الملك: ١٥] وقال: {وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: ٧٧] فهو يلحظ أنَّ الأمر أتى بالمسارعة في عمل الخير وتطلب البر لنيل ثواب الآخرة، وأمَّا الدنيا فلا مسارعة في ابتغائها ولا مسابقة في تطلب متعها الزائلة، ولهذا نجده سبحانه وتعالى حث على المسارعة في الآخرة، والسعي لذكر الله تعالى، وأمَّا في الدنيا فقال: {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا}[الملك: ١٥]، وفرق كبير بين المسارعة والمسابقة وبين المشي، ولهذا جعل سبحانه وتعالى أصل عمل العبد في نيل ثواب الآخرة والسعي لتطلُّب الأجر من الله، ولكن في أمور الدنيا قال تعالى: {وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا} [القصص: ٧٧].

وحين نرجع البصر متأمِّلين في هذه الآيات نجد أنَّ طلب الدنيا استخدم معه المشي، لأنَّ طلب الإنسان للدنيا غريزة في النفس؛ والغرائز لا تحتاج لتكليف أو تشويف، بينما السعي للآخرة تكليف فاقتضى طلب المسارعة، فالإنسان لا يحتاج لدفع كي يحرص على طلب الدنيا بخلاف العمل الصالح.

فما أجدرنا بالقيام بحق الله تعالى لاغتنام هذه الفرص الرمضانية، والمنح الربانيَّة، والعطايا السخيَّة التي اجتمعت لنا لكي نقوم بها في هذا الشهر العظيم.

•مقترحات عمليَّة لاغتنام الفرص الرمضانيَّة:

وبما أنَّ الفرص كثيرة والمغانم في هذا الشهر غزيرة، فحريٌّ بالعبد المؤمن أن يسعى لاكتسابها ويحاول تطبيقها؛ ليخرج من العيش في ظلاله بنتيجة ترضيه حين يراها في صحائف أعماله،{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النور:٢٤]، وإنَّ من هذه الفرص الجليلة:

• (العطاء) : فهذا الشهر يعطينا فرصًا كثيرة للعطاء وتقديم الخير للناس، وإكرامهم وإسبال الجود عليهم، من قبيل: تفطير الصوَّام، والتصدق بالمال، وتعليم الناس العلم، والسعي في خدمة المحتاجين والمكروبين، وهو فرصة لكي يحرص روَّاد وقوَّاد العمل الخيري في شهر رمضان على مزيد من العطاء، وبذل الإيجابيَّة الفعَّالة في أوساط الناس.

• (العمل) : فشهر رمضان يعطيك دفعة حركيَّة، ووقودًا حيويًّا، وطاقة مستمرة في العمل، فأنت في هذا الشهر تصلي لله تعالى القيام وصلاة التراويح، وأنت في هذا الشهر تتصدق، وكان صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجاهدون فيه لإعلاء كلمة الله، فهو كذلك فرصة للمجاهدين في جميع بلاد المسلمين المحتلَّة ليستثمروا طاقاتهم للمقاومة والجهاد للكفار، ونصرة الإسلام والمسلمين.

• (الإنجاز) : فمن صام شهر رمضان كاملاً فقد أنجز إقامة هذا المشروع الكبير على أتم ما يرام، وهو بهذا يعطيك دفعة روحيَّة لإنجاز أعمالك والتمرن عليها، وترك التسويف والتسويغ غير اللائق، الذي لن يجني المرء منه سوى الهم والغم.

• (التنظيم): من يتأمَّل هذا الشهر الكريم يجد دقَّة التنظيم، فلا يدخل وقت في وقت، فللصيام وقت، وللإفطار وقت، وهو بهذا يكسبك دفعة إلى الأمام لكي تُحسِن استغلال وقتك بالنافع المفيد، وتحاول تنظيم وقتك وساعاتك لكي تقوم بالعمل وتنجزه على قدم وساق.

• (الدعوة): فالناس يكونون في هذا الشهر راغبين في كل خير، كما أنَّه في هذا الشهر تصفَّد الشياطين، وتكون فيه القلوب إلى الخير أقرب، فهي فرصتك لكي تدعو أقاربك وأرحامك وجيرانك، فهذا الشهر فرصة دعويَّة يستغل الداعية فيه جميع إمكاناته لنشر دعوة الإسلام لدعوة من يستطيع دعوته من الأمَّة المسلمة.

• (التكافل الاجتماعي): هذا الشهر الكريم فرصة ذهبيَّة لبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الإخوان، وحمل هموم الأمَّة المسلمة بالقيام بأداء حقوقها؛ فيتفقَّد المحتاجين والمعوزين والفقراء والمساكين، ويقوم بخدمتهم وأداء حقوقهم، ويتعاون مع الجمعيات الخيريَّة ويدلها على الفقراء والمساكين والذين لا يسألون الناس إلحافًا، وكذلك يقوم بإخراج الزكاة إن حان موعدها في هذا الشهر الكريم، ويصرفها في أهلها الذين يستحقونها، ويشعر بشعور الضعفاء والفقراء، ويحاول قدر الإمكان أن يقدم لهم خدماته ، والله عزَّ وجل سيجزيه خير الجزاء.

• (تقوية الإرادة) : فهي فرصة عظيمة لمبتغي الخير في هذا الشهر الفضيل، يستطيع من خلالها أن يستثمر روح الإرادة التي جعلته يصوم نهار رمضان كاملاً، ومن كان كذلك فهو يستطيع أن يقلع عن التدخين، وعن شرب المخدرات والمسكرات المحرمة، في هذا

الشهر وغيره من الشهور، ويسيطر على شهواته ونزواته وأهوائه ورغباته التي تحول بينه وبين إرادته وعزيمته، وصدق الشيخ مصطفى السباعي إذ قال:(الصيام رجولة مستعلنة، وإرادة مستعلية) أحكام الصيام وفلسفته:ص٨٩.

• (تنظيم الغذاء وتخفيف الوزن): فرمضان فرصة وقائيَّة وعلاجيَّة لمن يودُّون الاعتناء بترتيب غذائهم وتنظيمه، ومحاولة التخفيف من الأكل والشرب الذي هو في أصله مصلحة للجسم، ولكن إذا زاد عن حده انقلب سوءًا ومفسدة على النفس وإضرارًا بها، فيفسد من خلاله الروح والبدن.

• (كسب التائبين) : من المعلوم أنَّ الشياطين في شهر رمضان تصفَّد، فيا حبَّذا استغلال إقبال القلوب على الخير والعبادة، فهناك كثير من التائبين يعلنون توبتهم، ويقلعون عن ذنوبهم ومعاصيهم، فهو فرصة للمربين لكي يبذلوا طاقاتهم في تربية هذه النفوس المقبلة على العبادة، وإفادتها ببرنامج تربوي لتقوية الإيمان وأواصر الخير في القلوب الكسيرة التائبة.

• (مجازاة النفس): في هذا الشهر فرصة كبيرة لمجازاة النفس إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فعقوبة لها تردعها عن مطالبها الأمَّارة بالسوء، ولهذا كان العيد مكافأة لمن أحسن في هذا الشهر العظيم، وأمَّا من يسيء فيه فإنَّه ليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، ومن خلاله نستطيع أن نلزم أنفسنا الخير. وأمَّا إن تمرَّدت، فإنَّنا نمنعها ونحرمها من مبتغياتها لكي تكون لنا عونًا على الطاعة .

• (التحفيز) فهذا الشهر يحفِّز النفوس المؤمنة ويفجِّر الطاقات الكامنة في النفوس للعمل لما يرضي الله . تبارك وتعالى . ففيه تحفيز لمجاهدة النفس، كما قال صلَّى الله عليه وسلَّم في الحديث القدسي :(يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي) متفق عليه، كما أنَّ في كل ليلة فيه عتقاء، وذلك بسبب صيامهم وتقواهم لله . عزَّ وجل . فهذا التحفيز الكبير للقلوب سبب رئيس في الاستمرار بالصيام والقيام، فإنَّ:(من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه، فأي أجر وأي تحفيز أعظم من هذا؟!

• (التعلق بالمساجد) : نستطيع في هذا الشهر العظيم تعويد أنفسنا لأن تتعلق بالمساجد، لكي نكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلّه، ومن ذلك: انتظار الصلاة بعد الصلاة؛ فيصلي أحدنا المغرب ويبقى جالسًا لانتظار صلاة العشاء وينال فضيلة الرباط في طاعة الله، ومن ذلك: قراءة القرآن والذكر والقيام فيه، والاعتكاف في المساجد في العشر الأواخر؛ للخلوة برب العالمين، وسؤاله الهداية، ومناجاته في هذه الأوقات لعلَّه يفتح على من دعاه فتوح العارفين، ويقيه من نار الجحيم، ويدخله جنة النعيم.

• (استغفار الأسحار): فرمضان فرصة للاستغفار في وقت فضيل يكون أكثر المسلمين عنه غافلين، وهو وقت السحر، وخصوصًا أنَّ هذا الوقت هو وقت سحوره وطعامه قبل أن يبدأ الصيام مع طلوع الفجر، فهذه الفرصة غنيمة باردة، ينبغي للعبد المؤمن أن يقتنصها للاستغفار في هذا الوقت الفضيل الذي يتنزَّل فيه رب العالمين، ليغتنم العبد فرصته، ويكتسب غنائم الأجر في هذا الوقت ، ولقد ذكر الله من صفات المؤمنين في محكم التنزيل حيث قال:{وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ}[آل عمران: ١٧] وقال: {وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الذاريات:١٨].

• (توبة في رمضان): في هذا الشهر تتنزل رحمات الله، ويعتق سبحانه كثيرًا من عباده من النار. أعاذنا الله منها . فهو فرصة للعصاة والمذنبين والمقصرين في حقوق الله . وكلنا ذاك الرجل . للبداية بصفحة جديدة مع الله، وتوبة صادقة إليه، وإقلاع عن الذنوب والمعاصي والآثام.

• (مراجعة القرآن) شهر رمضان فرصة لمن تفلَّت عليه حفظ القرآن، ليقوم بمراجعته آناء الليل وأطراف النهار، وليقوم به الليل، ويقرأه متدبرًا لما فيه من أحكام ومعانٍ، وقد كان حال سلفنا الصالح عجبًا في تأمل القرآن وختمه في هذا الشهر العظيم.

• (عمرة فيه تعدل حجة): من محاسن هذا الشهر أنَّ فيه فرصة عظيمة للمعتمرين ففي الصحيحين عنه . صلى الله عليه وسلم . أنَّه قال:(عمرة في رمضان تعدل حجة)، فيا فوز وسعادة من فاز بأجر حجَّة في شهر رمضان إذا أدَّى العمرة خالصًا لوجه الله وعلى سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

• (كسب المسلمين الجدد) : في شهر رمضان فرصة سانحة لدعوة غير المسلمين وتأليف قلوبهم، وإشعارهم بعظمة هذا الدين، وصحَّة شريعته وبطلان الشرائع الأخرى، وقد شهد الكثير من الدعاة أنَّ أكثر وقت يُسلِم فيه غير المسلمين هو شهر رمضان، لما يرونه من تميُّز في هذه الشعيرة العظيمة، ومن سموِّ أحكامها وفضائلها، وتفاعل المسلمين معها.

• (تنقية القلوب): في هذا الشهر العظيم أيضًا فرصة لتجديد العلاقات الأخوية، وإعادة صلة ما قطعه القريب مع أقاربه بسبب خلاف أو شجار، فيستعيذ بالله من الشيطان، ويجعل قلبه سليمًا، لا غلَّ فيه ولا حقد ولا حسد، ويجدد علاقاته مع أقاربه وأرحامه وخلاَّنه على ميزان الشريعة، مع القيام بالحقوق التي افترضها الله من حقوق المسلم على المسلم، كما أنَّ من المهم استغلال هذا

الشهر الكريم للإصلاح بين القلوب المتشاحنة، والأفئدة المتباغضة، ففي هذا أجر عظيم وفضل كبير كما هو معلوم.

• (طيب الكلام): في رمضان فرصة كبيرة لكي يتعلم المسلم ويعتاد على النطق بالألفاظ الطيبة، وترك الألفاظ القبيحة والإقلاع عنها، وعدم مبادلة الأسوأ بالأسوأ، وإنَّما بالأحسن والتغافل عن أخطاء الآخرين:(فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل: إني امرؤ صائم) كما وجَّه بذلك الحبيب، صلَّى الله عليه وسلَّم.

• (التجديد والتغيير) فهذا الشهر الكريم فرصة مباركة ويانعة، لمن يريد تجديد الإيمان، والتغيير إلى الأفضل، وهو نقطة انطلاقة عمليَّة لإزالة الران عن القلوب بسبب تراكم الذنوب، وهو فرصة لتطوير النفس والرقي بها بما يرضي ربَّها سبحانه وتعالى، لتدرك يقينًا أنَّها قد غيَّرت فعليًّا من مجرى حياتها إلى ما كانت تتوق إليه وتتمنَّى تطبيقه.

• (الصبر): يستطيع المرء من خلال هذا الشهر أن يتعلم في دورة مكثَّفة معانيَ الصبر الثلاثة، من الصبر على طاعة الله في صيام رمضان، ومن الصبر عن معاصي الله بالإقلاع عن قبيح القول والكلام وكل ما لا يرضي الله في هذا الشهر الكريم، ومن الصبر على ما قدَّر الله وقضاه من فرض صيام هذا الشهر الكريم بالكمال والتمام، ورضي الله عن الأحنف بن قيس الذي قيل له:(إنَّك شيخ كبير وإنَّ الصيام يضعفك) فقال: (إني أعده لسفر طويل، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه)

• (قلَّة الاستهلاك) من فوائد هذا الشهر التقليل من المطاعم والمشارب، لا كما يفعله كثير من الناس، حيث يجلبون جميع الأشكال والألوان من المطاعم، وكأنَّه شهر أكل وشرب، بيد أنَّ حقيقته التقليل من الأكل والشرب، والأخذ بمبدأ الاقتصاد في الطعام والشراب بلا شح وبخل ولا إسراف ومخيلة، بل يكون وسطًا بين ذلك، لكي يكون الاستهلاك فيه مقنَّنا، وليس كل ما يشتهيه المرء يشتريه.

• (تربية الأولاد): فالأب المربي والأم المربية يستطيعان من خلال هذا الشهر بثَّ الفضائل في قلوب أولادهم، وهجر الرذائل، وتحبيب الصيام والقيام والقرآن لهم، بشتَّى الأشكال، وأنواع التشويقات، وما أحلاها من جلسة يجمع فيها الأب أولاده قبل الإفطار بنصف ساعة، ويلقي عليهم درسًا مما يعلمه أو حتَّى من كتاب ميسَّر، ويشرح لهم ما لا يعلمونه، ثمَّ قبيل الأذان يرفع يديه هو وأولاده بالدعاء والتضرع وقرع أبواب السماء بجميع الأدعية المأثورة والطيبة.

• (الدعاء): من أفضل الأوقات التي يشعر فيها قلب المؤمن بالطمأنينة والسعادة ساعات المناجاة لله رب العالمين، وخصوصًا في شهر رمضان الذي جاءت آية الدعاء من بين الآيات الحاثَّة على صيام هذا الشهر العظيم، تذكيرًا بأهميَّته في هذا الشهر، فيتوجب على المسلم ألاَّ ينسى نفسه وإخوانه المسلمين من دعوة صالحة صادقة يقوم بها داعيًا ربَّ العباد، لعلَّ الله تعالى أن يفرج عنه وعن جميع المسلمين همومهم وكروبهم.

• (الدخول إلى الجنَّة) فهذا الشهر الفضيل فرصة للصوَّام للدخول إلى الجنان، ولا ريب أنَّ للصائمين إيمانًا واحتسابًا بابًا يدخلونه إلى الجنَّة وهو باب الريَّان، كما أنَّ الأجر العظيم ينتظرهم يوم القيامة، فإنَّ الصوم لله وهو سبحانه وتعالى سيجزي عباده الصائمين الأجر الكبير.

• (شكر الله): في هذا الشهر فرصة لشكر الله تعالى، وخصوصًا إذا أطاع العبد ربه، واجتنب معاصيه وما يسخطه، فيحمد العبد ربَّه شاكرًا له من قلبه وبلسانه وبأفعاله على أن منَّ عليه بتلك الفضائل وجنَّبه الرذائل، كما قال تعالى: {وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [البقرة: ١٨٥].

وأخيرًا: فهذه فرص تلمَّستها بعد تأمُّل ذهني، أقدِّمها لإخواني المسلمين طيبةً جاهزةً، راجيًا الله أن يقوموا بالتقاطها والقيام بها وأدائها، وعَلِمَ الله الذي لا إله إلاَّ هو ، ما من شهرٍ يمر على المسلمين أفضل أجرًا ولا أعلى ذكرًا ولا أكثر قربًا لقلوب المسلمين من هذا الشهر العظيم؛ الذي تفتَّح فيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران، فهنيئًا لمن استغله بالطاعات، ويا لخسارة من فرَّط فيه، وأضاع حقوقه وواجباته ومقاصده.

لقد جمع هذا الشهر جميع ألوان العبادة، وشتَّى أشكال الروحانيَّة والتقرب إلى الله، فيا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مولد السيدة عائشة..الذكر على الطريقة الصوفية

أسامة الهيتيمى

يبدو أن ما نطق به المثل الشعبي في مصر "مولد وصاحبه غايب" مقولة حق أكثر ما تنطبق على الموالد التي تقام وبشكل سنوي لأضرحة وقبور المشايخ والأولياء الذين يرجع نسبهم بحسب اعتقاد الناس لآل البيت سواء صح ذلك الاعتقاد أم بطل ..فما يحدث

ويجري في هذه الموالد أبعد ما يكون عن أي ضابط أو رابط شرعي أو أن يكون على أقل تقدير تمثلاً بسلوك من يفترض أن يكون صاحب أو صاحبة القبر أو الضريح الذي استمد احترامه وحب الناس له من تقواه وعبادته وقربه من الله عز وجل .. بل إن الشيء الأكثر إثارة للدهشة والتعجب هو أن يكون هؤلاء الذين حزموا أمتعتهم وشدوا رحالهم ليقطعوا مئات الأميال لحضور المولد جاهلين بصاحب المولد نفسه فلا يعرفون عن صاحب المقام أو الضريح غير اسمه الذي ربما يتشابه مع أسماء آخرين فيكون اعتقاد بعضهم أن صاحب المولد أحد هؤلاء وليس الشخص الحقيقي.

ولعل أكثر ما يتجسد فيه ذلك الخلط هو مولد السيدة عائشة بنت الإمام الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين حفيد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه والتي ماتت ودفنت بالقاهرة سنة ١٤٥ هجرية - بحسب أغلب الآراء . في ضريح صغير كان عبارة عن مزار بسيط يتكون من حجرة مربعة تعلوها قبة غير أنه وفي القرن السادس الهجري وخلال العصر الأيوبي أنشئ بجوار القبة مدرسة ومسجداً أطلق عليهما اسم السيدة عائشة بل أصبح الحي الذي يقع فيه الضريح والمسجد والواقع على طريق جبل المقطم يحمل اسم السيدة عائشة أيضًا فيطلق عليه "حي السيدة عائشة" .

وكغيره من الموالد يحضر مولد السيدة عائشة الذي يقام كل عام في شهر شعبان الآلاف من القادمين من أنحاء مصر وبعض الدول المجاورة كليبيا والسودان فضلاً عن العراقيين والهنود وغيرهم والذين - للأسف الشديد - يجهل أغلبهم شخصية السيدة عائشة بل ويخلطون بينها وبين السيدة عائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين والتي لم تأت إلى مصر أصلاً وهو أمر إنما ينم عن انخداع الناس بأية مقولات ودون تبصر أو وعي في حين أن السيدة عائشة التي نقصدها هي عائشة بنت الإمام جعفر الصادق وهي أخت الإمام موسى الكاظم وكانت من العابدات القانتات المجاهدات وقد جاءت إلى مصر في عهد أبي جعفر المنصور وكعادة أهل مصر فقد لاقت السيدة عائشة حفاوة بالغة حين عرفوا بمقدمها وقد عرفها كل من كان حولها بلقب"أم فروة" وبقيت بمصر حتى توفيت في عام ١٤٥هجرية ودفنت في الدار التي كانت تقيم فيها منذ أن قدمت إلى مصر فيما يقع مسجد السيدة عائشة في بداية الطريق الموصل إلى جبل المقطم وقد تهدم المسجد القديم وأعاد بناءه الأمير عبد الرحمن كتخدا ويتكون المسجد من مربع يتوسطه صحن محاط بعدد من الأروقة ويقع الضريح في الركن الجنوبي الشرقي لجدار القبلة.

وكغيره من الموالد يتجسد في مولد السيدة عائشة الكثير من المظاهر والسلوكيات التي لا تعبر عن المنهج الصحيح للإسلام بل على العكس تعبر عما يخالف الإسلام بمختلف جوانبه الاعتقادية والسلوكية ليكون الحادث أشبه بملهى انتزع فيه الخارجون عن التعاليم الإسلامية أو حتى العادات والتقاليد الشعبية حقاً مشروعًا لممارسة أفعالهم الباطلة تحت ستار التقرب للأولياء وذكر الله "تعالى الله عما يصفون".

والحقيقة أن مثل هذه الموالد ليست إلا ساحة يلتقي فيها مثل هؤلاء الناس الذين يجدونها فرصة لتحقيق مآربهم ولهذا تجد الكثير ممن يشاركون في مولد السيدة عائشة هم أنفسهم الذين يشاركون في مولد السيدة زينب والسيدة نفيسة والسيد البدوي وغيرها من الموالد التي تقام في مختلف أنحاء القاهرة ومصر بشكل عام فليس أفضل من الموالد بيئة مهيئة يمكن أن يمارسوا فيها كل ما يحلو لهم تحت سمع وبصر الجميع وبمباركة من السلطات التي تغض الطرف عنهم طالما أن مثل هذه التجمعات لا علاقة لها بالسياسة أو غيرها.

وعلى نفس نهج بقية الموالد فقبل الليلة الأخيرة لمولد السيدة عائشة والتي يطلقون عليها الليلة الكبيرة يقوم أتباع الطرق الصوفية بدق أطناب خيامهم في الطرقات ويرفعون عليها الأعلام التي تحمل اسم كل طريقة وخليفتها فهذه هي الطريقة العزمية وهذه هي الطريقة الشاذلية وهذه هي الطريقة البرهامية وغيرها

من الطرق التي يتجاوز عددها السبعون طريقة في مصر تتفاوت في أعدادها وقدراتها المادية وأسلوب ما يعتبرونه ذكرًا لله.

ونظرة سريعة لما يحدث داخل هذه الخيام المقامة حول المسجد الذي به ضريح السيدة عائشة تكشف عن حجم ما أصيبت به الأمة الإسلامية والذي يتنافى مطلقا مع الحد الأدنى لتصور العامة عن الإسلام بقيمه وتعاليمه وليس لدى هؤلاء الذين يدعون محبتهم لآل البيت فتجد اختلاطًا كاملاً بين الرجال والنساء في المأكل والمشرب بل وحتى في النوم فالرجل بجوار المرأة دون أدنى ضابط وهو الأمر الذي يرفضه الإسلام حتى لو كان النائمون زوجًا وزوجة فإن مكارم الأخلاق تحتم أن لا يكون ذلك أمام أعين الناس حتى لا تنكشف عورة أو يحدث من الأفعال ما يخدش الحياء بين اثنين غلبهم النوم وغير مسئولين عن أفعالهما.

كذلك لا تكاد تخلو خيمة من خيم هؤلاء المدعين للذكر من وجود الـ"نارجيلة " أو الـ"شيشة" اللتين تستخدمان لتدخين ما يسمى "المعسل" والذي يخلطونه في بعض الأحيان بأنواع من المخدرات كـ"البانجو" و"الحشيش" بالإضافة إلى تدخين السجائر المخلوطة أيضًا بهذه الأنواع المخدرة لتخرج من هذه الخيم أدخنة كثيفة تشعرك بأنك داخل إحدى علب الليل في أمريكا اللاتينية.

وتكتمل الصورة بتلك الأضواء الملونة والأصوات المزعجة التي تخرج من داخل الخيم بعد أن قام قاطنيها بتشغيل "المسجلات" و "الميكروفونات" التي تبث شتى أنواع الأغاني والترتيلات المصحوبة بالموسيقى التي تدفع الكثيرين إلى التحلق والرقص والتمايل معها شمالاً ويمينًا مع التصفيق المتناغم مع الإيقاع الموسيقي في حين لا تسمع القرآن الكريم كما لا يمكنك أن ترى انعقادًا لدرس من دروس العلم فالجميع إما مشغول بالطعام والشراب أو بجمع الأموال التي يخرجها هؤلاء الذين يحسبون أنهم يفعلون خيرًا أو أنهم قد أخذتهم "الجلالة" - بحسب تعبيرهم - لينشغلوا بذكر الله بالرقص في "الحضرة" التي هي عبارة عن حلقة يقف فيها الرجال ويحركون رؤوسهم ويمنة ويسرة مع انحناءة في الظهر وتصفيقًا باليد مرددين سويًا " الله حي " أو هو هو هو.

والأغرب أن هؤلاء الذين يدعون محبتهم لآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم والذين أرهقوا أنفسهم وتكلفوا مشقة السفر والتنقل لا يستجيبون لنداء الله إذا ما رفع أذان إحدى الصلوات فتجدهم كما هم على حالتهم والصلاة مقامة في المسجد الملاصق لخيامهم وكأن ما يفعلونه أفضل عند الله! وهو ما يعكس إما فساد طوية أو جهل عميق بالإسلام.

أما الأمر خارج الخيام فحدث ولا حرج فميدان السيدة عائشة في الأيام العادية مزحوم بشكل مستمر فهو تجمع للسيارات المقبلة من ناحية الملك الصالح ودار السلام ومدينة نصر ووسط البلد وهو الزحام الذي يشتد بشكل مثير خلال أيام المولد حيث تقام الخيم ويأتي الناس من كل ناحية ويتجمع باعة "الحلويات" و"الحمص" و"لعب الأطفال" و"البخور" وأصحاب "المراجيح" و"ضرب البمب" و"السيرك" و"القمار" فتصعب الحركة ويتزايد احتكاك المارة بعضهم ببعض فتنتشر المفاسد بعد أن يستغل ذلك أصحاب النفوس الضعيفة في التحرش بالنساء والفتيات ويتعرض الكثيرون للسرقة كما يتعرض السذج للنصب والاحتيال ويُختطف الأطفال وتقع الكثير من الاشتباكات بالأيدي والتلفظ بما لا يليق أن تنطق به الألسنة في مجتمع الذاكرين!.

لكن الأسوأ في المسألة هو ما يقع داخل المسجد ذاته وعند ضريح السيدة عائشة وهو مثلما يحدث عند بقية الأضرحة فتجد من التصرفات البدعية والشركية ما يجعلك تتساءل هل صحيح أن ما يحدث أمام ناظريك واقع بالفعل؟ وهل ما زال هناك مسلمون يأتون بمثل هذه الأفاعيل؟ وهل مع ثورة الاتصالات وتطور وسائل الإعلام وكل محاولات الداعين لتوعية الناس وتعليمهم أمور دينهم ما زالت مثل هذه التصرفات تصدر عن الناس؟.. فالكثيرون يدخلون ساجدين أمام الضريح ودون توجه لقبلة يبكون وينتحبون لقبر وآخرون يصرخون مرددين كلمات غير مفهومة والبعض يهذي ويأتي بحركات غريبة تكشف عن شخصية مصابة بمرض نفسي أو بحالة هستيرية والأدهى أن كل هذا عندهم ذكر لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن زيارة مثل هذه الموالد ومشاهدة ما يحدث فيها كفيل بأن يدفع إلى القول بضرورة تكثيف العمل الدعوي والعمل بصبر وجد من أجل تحصين الناس ضد محاولات إلهاءهم وتفريغ طاقاتهم في أعمال تتنافى مع الإسلام بزعم أن ما يقومون به يعد ذكرًا وأعمال خير طالما حظيت بقول الخليفة الذي يستمد قوته من خضوع الناس له وطاعتهم له حتى لو كانت في معصية الله.

متابعات

محمد عبدالعزيز الهواري

النصارى واليهود والبوذيون يدعون للتصوف في المغرب

نظمت الطريقة "المشيشية الشاذلية" بمدينة طنجة المغربية ملتقى واسعًا حضره أحبارٌ يهود ورهبانٌ "مسيحيون" وبوذيون ومفتي مصر الصوفي "علي جمعة"، اجتمعوا على طاولة واحدة تحت زعم التقريب بين الأديان.

وخلال الملتقى قال الحبر اليهودي "يوسي" الذي حضر من الولايات المتحدة:" العالم بات في حاجة إلى التصوف ومبادئه، بقدر ما هو محتاج إلى تركيزه على مبادئ التسامح، وقيم العيش المشترك.

واعتبر يوسي أن نجاح فكرة التصوف تكمن في ابتعاد مبادئها عن التعقيدات الأيديولوجية، وتركيزها الشديد على المحبة والسلام والدعوة للحوار مع الآخر.

وصرح أحمد عبادي - رئيس الرابطة المحمدية للعلماء، وأحد الذين أشرفوا على تنظيم الملتقى - :أن "التصوف لا يقصي أحدًا، ولذلك يعد السبيل الأبرز لربط جسور التواصل بين مختلف "الديانات السماوية" والعقائد الإنسانية بما يخدم مصلحة الجميع في آن واحد"على حد قوله.

وقال الراهب البوذي "تشانغ" الذي شارك بالملتقى قادمًا من فيتنام بقوله: "إن التصوف يسهل التواصل بين الجميع، وقادر على استيعاب الاختلاف الموجود بين مذاهب العالم".

وأكد فوزي الصقلي - رئيس مهرجان فاس للموسيقى الصوفية - خلال مداخلاته بالملتقى على أن حوار الأديان ضرورة إنسانية، وأن التصوف عبر مبادئه ووسائل اشتغاله يكرس التقارب بين الأديان.

وظهر خلال الملتقى محاولة المنظمون إبراز حقيقة أن الطريقة "المشيشية الشاذلية" هي أصل الطرق والزوايا الصوفية بالمغرب عبر دعوتهم ممثلي وشيوخ مختلف الطرق المغربية للحضور.

شهد اللقاء حضور ممثلي الطريقة "القادرية البودشيشية"، والطريقة "التيجانية" إلى جانب شيخ الطريقة العلاوية "خالد بنتونس"، إلى جانب الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، وممثلي طرق صوفية في بلدان عربية من بينها سوريا وتونس.

وبحسب المصادر التاريخية فإن الطريقة المشيشية الشاذلية تمتد إلى عبد السلام بن مشيش (٥٥٩ – ٦٢٣هـ)، الذي لم يترك سوى تلميذ واحد هو أبو الحسن الشاذلي الذي تفرعت عنه كثير من الطرق الصوفية بالمغرب، وعرفت انتشارًا واسعًا في دول العالم المختلفة.

وإلى جانب المداخلات حول التصوف شمل برنامج اللقاء الذي يعقد لأول مرة محاضرات، وحفلات سماع صوفي قدمتها فرق مغربية وتركية.

وكان لافتًا أن الملتقى نُظِّم بقصر المولى حفيظ التاريخي بطنجة في زنقة (حارة) تحمل اسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي يعتبر من أشد المعادين للصوفية، ويتهمها بإلصاق الكثير من البدع بالإسلام.

يذكر أن ملتقى المشيشية الشاذلية الذي استكمل فعالياته بمدينة تطوان المغربية، جاء بعد لقاءات عالمية نظمتها كل من الطريقة القادرية البودشيشية والطريقة التيجانية عامي ٢٠٠٦ و٢٠٠٧، حيث حضر عشرات الآلاف من مختلف مناطق العالم أنشطتها.

ويواظب عشرات الآلاف على الحضور سنويًّا إلى ضريح عبد السلام بن مشيش بنواحي تطوان للتبرك بالزيارة، وهو ما يثير انتقادات لاذعة من قبل علماء المغرب الذين يؤكدون على أن التبرك بالأولياء مناف لتعاليم الدين الإسلامي.

ودأبت الزوايا المغربية، خصوصًا "البودشيشية"، و"التيجانية"، و"العلاوية" على عقد لقاءات ومنتديات دولية خلال السنوات الأخيرة؛ حيث تستقطب أنشطتها مئات الآلاف من الأتباع، وهو ما اعتبره محللون محاولة من الدولة المغربية لإيجاد توازن بين الإسلام الحركي الذي غالبًا ما يعارض مشاريعها، وبين حركية التصوف التي تقتصر على الاحتفالات والمزارات، وتنأى بنفسها عن الدخول في حلبة السياسة.

ويلاحظ المراقبون أنه في الأعوام القليلة الماضية أبدت السلطات المغربية اهتمامًا كبيرًا بالطرق الصوفية وبرعاية أنشطتها المتنامية، ويرجعون ذلك إلى أنها ترى في نهج الصوفية

السلمي وسيلة فعالة لمحاصرة أفكار وأنشطة التيارات الحركية الإسلامية ذات القاعدة الجماهيرية.

٢٠٠٨/٨/٤ موقع إسلام أون لاين

د/ عبدالعزيز آل عبداللطيف: الغرب يساند المتصوفة لمواجهة المذهب السلفي السني

تعليقًا على إعلان الطرق الصوفية بمصر البدء في بث "فضائية صوفية" مطلع العام المقبل قال الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف – الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض– :"إنه لا غرابة أن ينشط أهل الأهواء كالصوفية معتبرًا أن هذا (الصحو) يؤزّه الغرب عمومًا وأمريكا خصوصًا، والباعث لذلك هو المكايدة للمذهب السلفي السني، وتقديم (التصوف) بديلاً مريحًا وذلولاً للغرب وأذنابه".

وأكد الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف أن هذا (الصحو) الصوفي سيعقبه (المحو) والانطماس بعون الله تعالى؛ إذ إن من أسباب ظهور الحق: ظهور المعارضين والشانئين له.

وقال الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف: "إن أهل السنة والجماعة إذا بذلوا بعض جهودهم في مدافعة هذا الوباء ومعالجته، ونشر السنة وتبليغ دين الله؛ لما كان لهؤلاء (الغثاء) أن يظهروا" وأضاف: "لكن نشكو إلى الله عجز الثقة وجلد الفاجر".

واعتبر الدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف أن المدافعة لهذه القناة تكون بنظيرها، فيسعى إلى إنشاء قنوات تهدف إلى تقرير منهج أهل السنة في التلقي والاستدلال في جميع شئون الدين؛ من اعتقاد، وفروع، وسلوك وآداب.. وكشف عوار المناهج البدعية من تصوف وتشيع وكلام.. واتخاذ مراكز بحثية متخصصة من أجل إعداد الخطط والبرامج في رصد التصوف ومدافعته وكشف تهافته، ودعوة القوم ومناظرتهم ومحاورتهم.

يذكر أنه أثناء انعقاد مؤتمر عن دور الصوفية أمام تحدِّيات العصر؛ أعلن محمد علاء أبو العزايم - شيخ الطريقة العزمية - إصدار قناة للصوفية في يناير القادم ٢٠٠٩م.

ومما يؤكد الدعم الغربي للصوفية في جميع أنحاء العالم العربي والإسلامي وخاصة مصر تلقِّي العديد من رموز الطوائف الصوفية في مصر والعالم العربي دعوات للقيام بزيارات للعديد من الدول الأوروبية لإلقاء محاضرات حول العلاقة بين الإسلام والغرب وطرق التقريب بين الطرفين في ظل توتر العلاقة بينهما على خلفية قضية الرسوم المسيئة.

كما أوعزت العديد من الدوائر الغربية إلى مركز ابن خلدون الذي يرأسه عالم الاجتماع المصري سعد الدين إبراهيم لتنظيم ندوات حول قوى الإسلام المعتدل في مصر ومن بينها الطرق الصوفية بهدف وضعها في الصورة عند الحديث عن قوى الإسلام المعتدلة.

كما تشهد العديد من الدول العربية اختراقًا من جانب القوى الصوفية كمؤسسات المجتمع خصوصًا في مصر والسودان وسوريا وموريتانيا والمغرب العربي، حيث ترتبط القوى الصوفية بصلات وثيقة مع النخب الحاكمة لدرجة أن هناك شخصيات صوفية اعتلت لأكثر من ٢٠ سنة سدة جامعة الأزهر في مصر وهم د. أحمد عمر هاشم ود. أحمد الطيب والأخير كان مفتيًا للديار المصرية قبل وصوله إلى رئاسة الجامعة.

و طالب مؤتمر الطرق الصوفية في ختام أعماله في القاهرة بمطلع هذا العام، الرئيس المصري حسني مبارك، و القيادة السياسية بـ"إفساح المجال للمنهج الصوفي لعلاج التطرف"، حضر المؤتمر سكرتير أول السفارة الأمريكية بالقاهرة "إدوارد وايد" وعدد من الدبلوماسيين الأجانب، فيما تحاول واشنطن جاهدة تفعيل النشاط الصوفي في مصر لمواجهة المد الإسلامي والالتزام بالدين والعقيدة الصحيحة التي انتشرت بين عوام المسلمين بسبب الفضائيات السنية.

كما ثارت العديدُ من التساؤلات حول دور هذه القناة، ومصدر تمويلها الذي يصل لخمسة ملايين دولار، خاصة مع الدَّور المشبوه المعروف عن الطريقة العزمية، وعلاقتها بأمريكا وإيران، وتشيُّع الكثير من أفرادها، ودعوتها الشيعية الخفية، خاصة أن هذا الإعلان جاء بعد عودة أبي العزايم من مؤتمر للتصوف بأمريكا، القائم عليه مجموعة من شيعة إيران.

٢٠٠٨/٧/٢٦ موقع المسلم

حكم بالسجن مع إيقاف التنفيذ على متصوفة بتونس

في خطوة عدها الكثيرون من المتابعين لحالة الود والعشق بين النظام التونسي العلماني والطرق الصوفية التونسية أنها خطأ غير مقصود صدر حكم قضائي بالسجن بضعة أشهر مع إيقاف التنفيذ

بحق عدد من أتباع التيار الصوفي الذي تدعمه الدولة.

وحوكم الموقوفون الصوفية، وعددهم حوالي عشرة، بتهمتي عقد اجتماعات عامة، وتكوين جمعية غير مرخص بها.

وصرح حقوقيون أنها "خطأ غير مقصود" في إطار الحملة الأمنية التي بدأتها السلطات مؤخرًا ضد أنصار حركات الإسلام السياسي، وخاصة السلفية منها، مستدلين على ذلك بصدور هذا الحكم المخفف على عكس الأحكام المشددة التي يصدرها القضاء التونسي عادة بحق أتباع التيارات الإسلامية الأخرى.

آخر هذه الأحكام المشددة صدر أول أمس بالسجن لمدد تتراوح بين ٤ إلى ٩ أعوام على خمسة إسلاميين، بينهم ضابط شرطة ومدرس.

ما يدعم وجهة نظر هؤلاء الحقوقيين أنه لم يسبق أن فرضت السلطات حظرًا على أنشطة التيار الصوفي، بل تحظى أنشطة الصوفية بدعم كامل من الدولة، وفي مقدمتها إقامة "الموالد"، وترميم الأضرحة والمقامات، وإنشاء الزوايا الخاصة بهم في المحافظات.

هذا، وتشهد تونس اهتمامًا رسميًّا كبيرًا بالأضرحة والمقامات والمزارات، سواء من حيث رعاية القائمين عليها، أو ترميم ما تداعى من أبنيتها أو دعم أنشطتها، وخاصة ما يسمى منها بـ"الخرجة" أو "المولد"؛ وهي الاحتفاليات التي تقام سنويًّا لما يعرف بـ"الأولياء الصالحين".

وتعمل كل الدوائر الرسمية المركزية والمحلية بمختلف مستوياتها واختصاصاتها من ثقافة وإعلام وتربية وتعليم وشئون دينية على تشجيع جميع الفئات والعائلات التونسية على إقامة احتفالات سنوية لمشايخهم وأوليائهم.

ويربط مراقبون الاهتمام الرسمي في تونس بالصوفية وازدهارها في العقدين الأخيرين بالصراع الذي دار بين السلطة وحركة "النهضة"، التي تمثل الإخوان المسلمين بتونس في بداية التسعينيات؛ وهو ما أدى إلى نفي معظم قادة الحركة خارج البلد، وتحجيم وجودها في الشارع.

ويرى هؤلاء المراقبون أن يد النظام التونسي ليست بعيدة عن انتشار التيار الصوفي وإعادة إحيائه بمثل هذه القوة، وأنه يستهدف من وراء ذلك إبعاد أكبر عدد ممكن من الشباب المتدين عن حركة "النهضة" ومثيلاتها، مقابل فسح المجال أمام توجهات إسلامية أخرى ترفض الانخراط في العمل السياسي.

وهذه ليست المرة الأولى التي يستخدم فيها التيار الصوفي للقيام بهذا الدور؛ حيث سمحت فرنسا خلال احتلالها تونس للزوايا الصوفية بممارسة نشاطها مقابل التضييق على الزيتونيين ومدارسهم.

كما أولى الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة اهتمامًا كبيرًا بأضرحة الأولياء؛ لمواجهة الهجوم الذي شُنّ عليه عقب دعوته التونسيين إلى الإفطار في شهر رمضان المعظم.

ونتيجة للرعاية التي تبسطها الدولة للصوفية، انتشرت الزوايا والخلوات التابعة لها في عدد كبير من أحياء العاصمة، وخاصة الأحياء الجنوبية منها والمعروفة بكثافتها السكانية العالية والمستوى الاجتماعي المتردي.

كما عمدت السلطات إلى إعادة إحياء العديد من"الخرجات" و"الزَّرْدَات" (جمع زَرْدَةٍ وهي الوليمة التي ترافق عادة الخرجة)، وأغدقت عليها من أموال الخزينة العامة للدولة، حتى غدا لكل ولي صالح أو مزعوم، صغير أو كبير، خرجة خاصة، وباتت تونس تعيش على وقع هذه الخرجات خاصة في فصل الصيف.

والخرجة هي احتفال سنوي يقام احتفاء بالولي، وتقام خلالها الولائم، وتذبح الذبائح، وتنشد الأناشيد الصوفية في إطار ما يعرف بالحضرة، مثل خرجة سيدي علي الحطاب، وسيدي بلحسن، وسيدي بن عيسى، وسيدي أبي سعيد، وغيرها.

وأصبح لبعض هذه الخرجات صيت كبير، وصارت تشد لها الرحال، ويغشاها الزائرون، حتى من السائحين الأجانب، مثلما يحدث في خرجة سيدي أبي سعيد التي تقام في قلب المنطقة السياحية بتونس الشمالية.

وتشمل هذه الخرجات العديد من البدع والشركيات ومنها استعانة المنشدين بهذا الولي أو ذاك على قضاء حوائجهم، أو تفريج كربهم، أو شفاء مرضاهم، بدل الاستعانة والتوكل على الله، إضافة إلى أن هذا الشكل من الإنشاد يؤدي إلى غياب الإنسان عن وعيه، ويحدث له العديد من التشنجات والتي يفسرها أبناء الطرق زعمًا بأن صاحبها قد وصل للكمال في هذه العبادات الشركية.

٢٠٠٨/٧/٢١ موقع إسلام أون لاين

طلبًا للإنجاب نساء مغربيات يطفن بضريح مولاي إبراهيم

في بدء الزيارة للضريح يمر الزائر عبر أدراج إسمنتية بالسويقة، التي تستقبله بطابور من العشابة، يقدمون كل أصناف الأعشاب، والشموع، وجلود بعض الحيوانات والزواحف، مثل القنفذ، والثعلب، والضربان، والحرباء، وبجوارهم دكاكين صغيرة لـ"الشوافات"، اللواتي يذوبن مادة "اللدون" (الرصاص) فوق النار، وتتحلق حولهن عشرات النساء، ينتظرن ما "ستراه" الشوافات في ذلك السائل الغريب، الذي يحل كل الإشكالات، على حد زعمهن.

وتنتشر بالسويقة المؤدية إلى الضريح أعداد كبيرة من المتسولين، منهم من يعرض "بركة" مولاي إبراهيم، وهي عبارة عن أشياء بسيطة جدًّا (عقيق أو مفاتيح)، إضافة إلى مجموعة من النقاشات، اللواتي يتجمعن في مجموعات صغيرة، في انتظار زوار المنطقة، خصوصًا من الفتيات والنساء. بالقرب من مدخل الضريح، تصادفك طوابير من المتسولين يجلسون جنبًا إلى جنب، ينتظرون مساعدة الزوار، وبمجرد دخولنا إلى داخل الضريح، الذي يتكون من بهو كبير، تتوسطه نافورة للوضوء، وغرفتان، الأولى يوجد بها ضريح مولاي إبراهيم، والثانية تدفن فيها ابنته "للامحلة" بها عدد غفير من النساء، من مختلف الأعمار، ومن جميع جهات المملكة المغربية، يتحلقن حول الضريح، للتبرك بما يسمى "كرامات وبركات" مولاي إبراهيم.

و من أجل "قضاء الحاجة"، وتلبية الطلبات، مقابل قربان ينذر لغير الله، يقدم على شكل هدية للولي، تختلف باختلاف الفوارق الطبقية؛ إذ يكتفي الفقراء بـ"الضوء" (قرطاس شمع).

وعندها يقول مقدم الضريح ورفاقه لكل زائر "هاذ الملحة ديرها في الماكلة، وهاذ التراب خوضيه في الما، ورشي به باب الدار، دابا يجيب الله البركة"،

جلسنا بجانب مقدم الضريح، مولاي الصديق لمغاري، نتحدث إليه، ففاجأتنا فتاتان في مقتبل العمر، تلبسان ثوبًا أخضر، وأخذتا تطوفان بالضريح، في الوقت الذي كانت والدتهما تحمل في يدها قارورة من "ماء الزهر"، وترش منها فوق القبر، وعندما سألناها عن السر في ذلك، أجابت بكل تلقائية "اسمي حياة، عمري ٤٥ سنة من نواحي مدينة مراكش، تنطلب من الله تعالى باش ينفعنا ببراكتو، عندما أكون غارقة في النوم يقف عليَّ في المنام، ويقول لي: أنا إبراهيم خصك تجي لعندي وجيبي ليا بناتك؛ لأن إحداهما تعاني مرض الصرع"، بحسب قولها.

وجاء رجل في الأربعين من عمره، يحمل فوق عنقه شاة ويدخل إلى الضريح، ثم أخذ يطوف حوله، تبركًا واحتفالاً بابنته العاقر، التي أصبحت تلد؛ إذ يشاع عند العامة أن زيارة مولاي إبراهيم تساعد المرأة العاقر على الإنجاب.

ومن بين الطقوس والعادات، التي يعرفها الضريح، كما يؤكد محافظ وممثل الضريح، مولاي الصديق لمغاري، تلاوة القرآن الكريم، والأمداح النبوية من طرف طلبة مدرسة مولاي إبراهيم المجاورة للضريح، ابتداء من صلاة العصر إلى صلاة المغرب، وخلال الصباح ترديد "دلائل الخيرات"، من طرف مجموعة من الشرفاء، أحفاد مولاي إبراهيم، إلا أن أهم مناسبة دينية يعرفها الضريح، الاحتفال بعيد المولد النبوي، حسب عادات وطقوس خاصة؛ إذ يقام احتفال كبير يقصده الزوار من داخل المغرب وخارجه، يستمر حوالي أسبوع، ويختتم بذبح ناقة في اليوم السابع، بحضور مسئولي وأعيان المنطقة وممثلي السلطات المحلية، وعلى رأسهم عامل إقليم تحناوت.

وعند الضريح يروون بعض الأساطير منها أن مولاي إبراهيم اجتمع لديه في يوم واحد ثلاثون ألف رجل وتسعة آلاف امرأة، فأكرمهم وأطعمهم، وكان يفصل بين الأفراد والقبائل في ما يطرأ بينهم من منازعات شخصية وجماعية حول المياه والمراعي.

ومن غريب ما يروى عنه، تركه حلق الشعر والزينة إذا دخل شهر محرم، وإذا وجه إليه لوم على ذلك، قال "ما فعلنا هذا إلا امتعاضًا لقتل الحسين"، وفي هذا إحالة على المذهب الشيعي. ومن أقواله المأثورة "لا يأتينا إلا من آمنه الله، إن مقامنا هذا مقام إبراهيم الخليل، ومن دخله كان آمنا، دارنا دار سر، لا دار علم" نسأل الله العافية.

٢٠٠٨/٨/١٥ صحيفة المغربية

شيخ مصري يؤكد وجود علاقة بين شيعة العراق ومتصوفة مصر

أكد الشيخ إبراهيم محمد إمام وخطيب مسجد الإحسان في مدينة قنا خلال خطبة الجمعة وجود علاقة وثيقة بين «الشيعة» في العراق و«الصوفية» في مصر، ووصف أصحاب كل منها بأنهم متشابهون في العادات والتقاليد، لكنهم يختلفون في أن أصحاب الطائفة الأولى يسبون الصحابة والثانية يمجدون الصحابة.

كما هاجم الشيخ الاحتفال بمولد سيدي عبدالرحيم القنائي الذي تحتفل به قنا من ١ حتي ١٥ شعبان من كل عام، وانتقد حضور شخصيات ذات مناصب دينية في الأزهر في الليلة الختامية للمولد، وانتقد أيضًا العادات والتقاليد السيئة في المولد كالرقص، مشيرًا إلى أنه لا يوجد في الإسلام ما يسمى «النصب الديني»، مستشهدًا بالآية الكريمة: {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ}[الحجرات: ١٣].

ووصف «إبراهيم» زوار المولد بأنهم يعبدون صاحب المقام بطريقة غير مباشرة ويتقربون إليه بالذبائح، مشيرًا إلى أن الفقراء والمطلقات واليتامى يستحقون هذه الذبائح، لأنهم لا يأكلونها إلا في المواسم والمناسبات.

وقال:"إن شعار المستفيدين من الموالد هو (أحب اللحم الضاني والعيش الحامي والبامية البرامي.. مدد يا سيدي يا جيلاني.. وهاتلي تاني)".

يذكر أن عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائي، مغربي الأصل، أقام بمكة ثم استقر في قنا بصعيد مصر، يصنع عند قبره مثل ما يصنع في النجف وكربلاء من الشركيات، مات سنة (٥٩٢)هـ.

ومن الخرافات التي تروى حول القناوي يقول الشعراني:" نزل يومًا في حلقته شبحٌ مِن الجوِّ لا يدري الحاضرون ما هو، فأطرق الشيخ ساعةً ثم ارتفع الشبحُ إلى السماء، فسألوه عنه فقال: هذا ملَكٌ وقعت منه هفوةٌ فسقط علينا يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتَنا فيه فارتفع!

وقال الشعراني:"وكان الشيخ إذا شاوره إنسانٌ في شيءٍ يقول: أمهلني حتى أستأذن لك فيه جبريل عليه السلام، فيمهله ساعة، ثم يقول له: افعل أو لا تفعل على حسب ما يقول جبريل " بحسب زعمه وادعاءه.

٢٠٠٨/٨/١١ صحيفة المصري اليوم

- -

مؤسسة أغاخان الشيعية تطلب ترميم مسجد بالقاهرة

تقدمت مؤسسة أغاخان بطلب للحكومة المصرية للسماح لها بترميم مسجد (أصلم السلحدار) أحد مماليك الملك المنصور قلاوون. بمنطقة باب الوزير بالقاهرة.

جدير بالذكر أن الأغاخانية فرقة من الإسماعيلية النزارية التي يرجع تأسيسها إلى الحسن بن الصباح الذي كان في مصر وقت حرمان نزار بن المستنصر الفاطمي من الإمامة، وشهد النزاع بين نزار والوزير الجمالي الذي قرر نقل الإمامة إلى أحمد بن المستنصر بدلاً من نزار الذي أوصى له والده بالإمامة من بعده.

ولا شك أن أئمة هذه الفرقة وأفرادها تبوءوا مكانة كبيرة في العالم، وأنشأوا الكثير من المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية، ولم يأت ذلك من فراغ،إنما نتيجة تخطيط شامل ومدروس، عبر عدة عقود، وما هو ما نلفت إليه دعاة المسلمين... للاستفادة من أساليب هؤلاء القوم.

إقامة علاقات وثيقة مع قادة وزعماء دول العالم، فإن الأغاخان يعامل معاملة رؤساء الدول، ولا يكاد يزور بلدًا ما إلاّ ويستقبل من قبل قادتها، وتحظى مشاريعهم وهيئاتهم برعاية هؤلاء القادة.

فعند ما زار الأغاخان الرابع البحرين في ديسمبر / كانون الثاني سنة ٢٠٠٣ كان في مقدمة مستقبليه ولي عهد البحرين سلمان بن حمد آل خليفة، ولّما زار مدينة أستانا عاصمة كازاخستان، استقبله رئيس الجمهورية نور سلطان نذر باييف، وسلمّه جائزة "السلام والتقدم".

وقبل ذلك كانت إيران قد منحت الأغاخان الثالث المواطنة الإيرانية سنة ١٩٤٩، ومنحته لقب "صاحب السمو الملكي"، وكذلك فعلت سوريا سنة ١٩٥١ خلال زيارته لها إذ منحته "وشاح أمية الأكبر"...

ولا يخفى أن مد جسور التواصل مع قادة الدول، وإقامة علاقات وثيقة معهم من شأنه أن يسهل نشر عقائدهم، وإقامة الهيئات والمؤسسات الخاصة بهم.

كذلك يمتهنون التجارة ويسعون لتكوين الثروة؛ ذلك أنهم أدركوا أثر المال في نشر دعوتهم وتحسين شأن طائفتهم، وكان أغاخان الثالث يحث أتباعه على الهجرة إلى أفريقيا لما تتمتع به من ثروات، فتدفق سيل المهاجرين من الهند إلى العالم، وكان الأغاخان يزور هذه المناطق وغيرها، ويشرف بنفسه على الاستثمارات التي تنتشر في مختلف أنحاء العالم، والتي . إضافة إلى دورها في تحسين شأن الطائفة . تعتبر أملاكًا للأغاخان ينفق من ريعها على ملذاته وشهواته.

وكان الأغاخانيون في سبيل تكوين الثروة، واستغلال خيرات الدول يعقدون الاتفاقيات مع قادتها، ويقيمون التحالفات، ففي أواخر سنة ١٨٩٩ زار أغاخان الثالث زنجبار، ودرس أحوالها عن كثب، ثم قام برحلة إلى أوروبا، وزار ألمانيا، وقابل الإمبراطور عدة مرات، وعرض عليه أن يمنح الأغاخانية الموجودين في المستعمرات الألمانية الحماية وامتيازات خاصة، كما أن الأغاخانية في كينيا كانوا يقفون في صف سلطات الاحتلال حفاظًا على ثرواتهم هناك.

٢٠٠٨/٨/٢ صحيفة "المصريون"

- -

حلقة صوفية في كنيسة لندنية تحت رعاية الحكومة البريطانية

السياسة ممنوعة في حلقات الصوفية

يعجب المار بجوار كنيسة بيتر اللندنية عندما يسمع أصوات ترانيم موسيقية يتردد بين ثناياها اسم الله على ألسنة لاهجة لا

تكاد تتوقف إلا عند انتهائهم من حلقة الذكر التي تنعقد داخل هذه الكنيسة مؤجرة لهذا الغرض.

الحلقة التي ينظمها مسلمون من أتباع الطرق الصوفية أسبوعيًّا تعد واحدة من حلقات كثيرة تنعقد في أنحاء لندن، ويعتبرها البعض دليلاً على انتشار الصوفية في المملكة المتحدة.

محمد علي، ناشط صوفي من أصل باكستاني، يعتبر أن "الصوفية أضحت أمرًا شائعًا في بريطانيا"، ويدلل على كلامه بأن هناك "أعدادًا تحضر حلقات الذكر، ومساجد تدعم هذه الحلقات وتستقدم لها مشايخ صوفيين".

و قال حارس رفيق مساعد مؤسس:"إنه لا مجال للحديث عن السياسة في حلقة الذكر التي تعقد في شارع ساحة كنيسة بيتر".

وقال أمجد بات، مهاجر من أصل هندي خلال حلقة للذكر:"نحن منهمكون في الذكر.. الله أمرنا بهذا ولم يأمرنا بالانخراط بالسياسة".

هذا، ووقررت الحكومة في أعقاب تفجيرات لندن ٧ يوليو ٢٠٠٥ دعم الطرق الصوفية لنأيها عن السياسة.

ومنذ عامين حضر سياسيون من الأحزاب الرئيسة حفل غداء أعده المجلس الإسلامي الصوفي في بريطانيا.

وحضرت "روث كيلي" - وزيرة شئون الجاليات في بريطانيا - آنذاك هذا الحفل وامتدحت المجلس وقالت: "المبادئ الأصيلة تدين الإرهاب بكافة أشكاله".

وحدد المجلس الإسلامي الصوفي مهمته بوضوح في "مواجهة التطرف والابتعاد عن السياسة" مهاجمين جماعات المقاومة للاحتلال مثل حماس بفلسطين

على ناجية أخرى قال داود عبد الله - نائب الأمين العام لمجلس مسلمي بريطانيا (أكبر المنظمات الإسلامية): "الصوفيون ليس لهم تأثير كبير في بريطانيا.. الكبار والعجزة فقط هم من يهتمون بالتصوف".

وأضاف عبد الله "المسلمون لا يستطيعون النأي بأنفسهم بعيدًا عن السياسة كما يزعم الصوفية، كما أن لهم اهتمامات داخلية وخارجية لا يستطيعون أن يتعاملوا معها إلا من خلال السياسة".

من جانبه قال الدكتور عزام التميمي الناشط الاجتماعي والإسلامي: "إن الحكومة البريطانية تدعم الصوفية لأن نهج هؤلاء قريب من سياساتهم ولا ينتقدونها".

ويعيش في بريطانيا نحو مليوني مسلم، وتنشط منظمات إسلامية عديدة مثل "مجلس مسلمي بريطانيا" و"الاتحاد الإسلامي في بريطانيا" للمطالبة بحقوق الأقلية الإسلامية الاجتماعية والسياسية، ومحاربة التمييز الذي بدا ملحوظًا عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١، وزاد بشكل كبير عقب تفجيرات لندن عام ٢٠٠٥، وقامت هذه المنظمات بتنظيم مظاهرات ضد حرب العراق والاعتداءات "الإسرائيلية" على الفلسطينيين، كما نظمت العديد من الاحتجاجات ضد ما يعرف بالإسلاموفوبيا، أو التخويف من المسلمين.

٢٠٠٨/٨/٢٧ إسلام أون لاين

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

الأمن المصري يغير طريق موكب "سيدي الحاج"

أجهزة الأمن في الأقصر قررت تغيير مسار موكب دورة «سيدي أبي الحجاج الأقصري» المقرر إقامتها الجمعة، حيث تقرر منع مرور الموكب في شارع كورنيش النيل، وأمام معبد الأقصر والمناطق السياحية المجاورة، وذلك لأسباب أمنية، وحذر مسئولو الأمن منظمي الموكب، الذي يجري تسييره منذ أكثر من مائة عام، من مخالفة التعليمات الشرطية.

كان الأمن قد غيَّر مسار موكب الدورة العام الماضي، وكاد ذلك يؤدي لمصادمات مع الأمن، خاصة مع رفض منظمي الموكب من رموز عائلة الحجاجية، الامتثال لقرار الشرطة وإصرارهم على استمرار الموكب في مساره الطبيعي قرابة ٥٠ مترًا، جرت خلالها مفاوضات واتصالات سريعة بين المنظمين وجهات أمنية، تم بناء عليها تغيير مسار الموكب وسط سخط شعبي من رواد المولد.

ويشبه تخطيط مسجد أبي الحجاج المساجد الفاطمية الصغيرة مثل جامع أسنا في أسوان والمشهد البحري على شاطئ النيل.

والمسجد عبارة عن مساحة صغيرة مربعة الشكل مغطاة بقبو صغير، ويقع المدخل في الجهة الغربية من المسجد، ومن المعروف أن هذا المسجد كان مختلفًا عن الشكل الحالي له، فقد طرأ عليه بعض الإضافات التي تمت في العصر الأيوبي، وبني جسم هذا المسجد في الجهة الشمالية الشرقية لمعبد الأقصر وربما يرجع تاريخه إلى منتصف العصر الفاطمي.

يذكر أنه لا تخلو مدينة مصرية من وجود ضريح أو أكثر لولي من الأولياء الذين يعتقد المصريون بتقواهم ويتبركون بزيارتهم، وفي الموعد المحدد للاحتفال بذكرى مولدهم يشد الآلاف الرحيل إلى مكان الضريح، حيث مولد السيد البدوي في طنطا، وعبد الرحيم القناوي في قنا، وسيدنا الحسين والسيدة زينب والسيدة نفيسة في القاهرة بالنسبة للأولياء المسلمين، ومولد السيدة العذراء بالزيتون، وسيدي العريان بضاحية المعصرة بالعاصمة القاهرة، ومولد القديسة دميانة بمحافظة البحيرة شمال مصر بالنسبة لـ"المسيحيين".

ورصد عالم الاجتماع الراحل د. سيد عويس في كتابه الشهير "موسوعة المجتمع المصري"، "أن مصر تضم حوالي ٢٨٥٠ مولداً للأولياء الصالحين، يحضرها أكثر من نصف سكان الدولة"، ولا يتقيد أهالي كل قرية ومدينة بوليهم المحلي، حيث أسقط المصريون حاجز المكان، بتوجه سكان أسوان إلى طنطا للاحتفال بمولد "السيد البدوي"، وبتوجه سكان الإسكندرية للاحتفال بمولد "سيدي أبو الحجاج" بالأقصر، وسكان حلوان للاحتفال بمولد القديسة دميانة بالبحيرة، وسكان البحيرة للاحتفال بمولد سيدي مار برسوم العريان بالقاهرة.

٢٠٠٨/٨/١٤ صحيفة المصري اليوم

إقامة مولد السيدة زينب تحت رعاية رئيس مجلس الشعب المصري

جاء الاحتفال بمولد السيدة زينب برعاية رئيس مجلس الشعب المصري سرور وحضور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

والدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف والدكتور عبد العظيم وزير محافظة القاهرة وأحمد كامل ياسين نقيب الأشراف، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية بمصر.

وفي كلمته قال الدكتور فتحي سرور:"إن السيدة زينب بطلة كربلاء لا ينسى دورها أبدًا فقد استطاعت بخطبتها في الكوفة وفي الشام وفي وجه يزيد بن معاوية أن تجعل من مذبحة كربلاء مأساة إسلامية تاريخية كبرى بل حولتها إلى ملحمة وفجيعة، وقد صبرت رضي الله عنها على جميع المصائب والمصاعب والمتاعب وتحملت البلايا والرزايا والمحن دفاعًا عن الحق، حفاظًا على أهلها وعشيرتها ودفاعًا عن مبادئ الإسلام السامية وأحكامه الراشدة".

وعلى جانبي المسجد انتشرت السرادقات التابعة للمجلس العالي للطرق الصوفية.. وقد ارتفعت هتافات الزوار بعبارات «مدد يا ستنا مدد» و«يا أم العواجز يا طاهرة» وسط مئات من الصوفيين، الذين لازموا عتبة المسجد بزيهم الأخضر يوزعون الماء والنذور على المارة والزوار.

وكان أهالي المنطقة قد فتحوا بيوتهم أمام زوار السيدة ومع إغلاق الشرطة لكل الشوارع المؤدية إلى ميدان السيدة شعر الصوفيون بأنهم في مدينة خاصة بهم مليئة بالأنوار، وكعادتهم احتفى مشايخ الطرق الصوفية بمولد السيدة وإن كان بعضهم يفضل الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج عن الاحتفال بالمولد.

وفي الليلة الختامية أمام المسجد اجتمع أبناء الطرق الصوفية الذين جاءوا إليها متأخرين عن موعدهم السنوي، برروا تأخرهم: «المولد قل خيره والناس مش زي زمان، والناس بتيجي المولد من السنة للسنة ليقرءوا الفاتحة للسيدة، ويأكلوا اللحمة اللي مش بيعرفوا شكلها إلا في المولد.. وحتى ده مش موجود، لأن أهل الخير بقوا يشيلوا اللحمة من العيش ويسيبوا الرز».

ومن الطرائف التي تحدث دائمًا بالموالد أنه أمام أحد مقاهي السيدة وقف رجل من المنصورة يسأل عن «قهوة النشالين» وهو يقسم بأنه سيعطي الحرامي مائة جنيه «بس يجيب المحمول وأوراق المحفظة اللي سرقها».. وأقسم بأن لن يحضر المولد مرة أخرى "طول ما النشالين موجودين"، وقال: "سأزور السيدة في أي وقت ما عدا أيام المولد.. فباب السيدة مفتوح دائمًا للمظلومين والشاكين.. ومش بتقفل بابها في وش حد".

يذكر أنه أكد المؤرخ الإسلامي المصري الكبير د.عبدالحليم عويس بعد دراسة استمرت ٢٥ عامًا بأن ضريح السيدة زينب هو قبر وهمي، رغم أن الملايين ظلوا يتوافدون عليه منذ عدة قرون، وحتى الآن اعتقادًا بأنها مدفونة فيه.

وقال أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة الأزهر د.عبدالحليم عويس لـ"العربية.نت": "هناك شكوك قديمة في وجود رأس الحسين وجسد السيدة زينب بنت السيدة فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب في ضريحيهما بالقاهرة، وما توصل إليه

الباحث بخصوص السيدة زينب وأنها لم تدخل مصر في حياتها وبعد مماتها، أكثر قبولاً عندي".

وأشار إلى أن الحديث عن وجود أضرحة لبعض آل البيت في القاهرة، هو من فتنة "الدولة الفاطمية" التي حكمت مصر، موضحًا أن إحجام الباحثين في التاريخ عن تحري الحقيقة بالبحث العلمي الدقيق، سببه الضغوط الصوفية الواقعة عليهم.

وكان الباحث في تاريخ القاهرة أحمد حافظ الحديدي، وحفيد المؤرخ الكبير الجبرتي، قد أصدر دراسة أعلن فيها أنه "بعد مراجعة تاريخية موضوعية ونزيهة استغرقت بضع سنوات، تبين له أنه حتى القرن العاشر الهجري الموافق السادس عشر الميلادي لم يكن يوجد مدفن للسيدة زينب في القاهرة".

وقال:"إن الضريح المعروف حاليًا في وسط العاصمة المصرية لم يكن أرضًا عند وفاة السيدة زينب عام ٦٢ هجرية، بل كان جزءًا من نهر النيل، وهذا ثابت تاريخيًّا في المراجع المتخصصة، وبعد أن انتقل نهر النيل منه، ظل مليئًا بالبرك والمستنقعات لمدة ٣٠٠ سنة، وأن المكان الحالي لمسجد السيدة زينب، كان في عصر الدولة الأموية جزءًا من بركة قارون التي أخذت بعد ذلك في التقلص لكن بقيتها ظلت موجودة حتى نهاية القرن التاسع عشر.

٢٠٠٨/٧/٢٦ موقع إيلاف

- - - - - - - - - - - - - - - - - - - -

تعاون صوفي أمني بمصر لمحاربة الاعتكاف السني في رمضان!!

أجرت السلطات الأمنية في المناطق المختلفة بالقاهرة تنسيقًا كبيرًا مع عدد كبير من المنتمين للطرق الصوفية من أجل الإرشاد والإبلاغ عن أماكن اعتكاف الشباب المنتمين للتيار السلفي خلال العشر الأواخر من شهر رمضان.

ودعت السلطات أبناء الطرق الصوفية لمحاولة إيجاد البديل الصوفي للاعتكاف السني الذي يقوم به أبناء السلفية والإخوان.

وكان مفتي مصر د. علي جمعة قال على هامش احتفال الطرق الصوفية الذي أعدته خصيصًا لتكريمه، حيث أوضح أن المشكلات المعقدة التي يواجهها العالم الإسلامي لن تجد حلاً إلا بالانضواء تحت راية الصوفية التي تقدم حلولاً ناجحة بحد زعم جمعة للمشكلات العديدة التي يعانيها عالمنا الإسلامي.

على ناحية أخرى يرى د. مصطفى إمام - الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف - أن هذه الجماعات المسماة بالصوفية ذات خطورة رهيبة على العقيدة الإسلامية؛ حيث تعتمد على الخزعبلات والبدع التي تخالف صحيح الإسلام جملة وتفصيلاً، وتعيد المسلمين إلى المربع صفر، منبهًا إلى أن اليهود وأصحاب الأديان الأخرى الذين اعتنقوا الإسلام ظاهريًّا هم الذين وقفوا خلف إطلاق هذه الجماعات للقضاء على الإسلام من الداخل.

وأشار إمام إلى وجود مؤامرة غربية وراء عودة هذه الطرق إلى الساحة العربية والإسلامية، فهم يسعون من وراء ذلك إلى إيجاد إسلام رومانسي خال من قيم التمسك بصحيح الدين والتراث السلفي العظيم لهذه الأمة ويفتقد إلى قيم المقاومة والجهاد بهدف تركيع هذه الأمة وإضعافها والنيل منها معتبرًا تنامي نفوذ هذه الجماعات واستقواء الأنظمة السياسية العربية بها بمثابة قنابل موقوتة تهدد الهوية الإسلامية لهذه الأمة.

ولفت إمام الانتباه إلى ضرورة وجود انتفاضة عربية وإسلامية ضد هذه التنظيمات التي تكرس البدع وتقدس الأضرحة والقبور وتعلي من شأن الخرافات لصالح القوى الإسلامية الحقيقية التي ضحت كثيرًا من أجل نصرة ديننا بدلاً من هذا الطابور الخامس الذي يستعد الغرب لاستخدامه للانقضاض علينا.

كما أشار مسبقًا د. إبراهيم الخولي - الكاتب الإسلامي المعروف - أن الغرب هو من يقف وراء اختراق هذه الجماعات المشبوهة للمجتمعات العربية والإسلامية، حيث يدعم الأمريكان والأوروبيون هذه القوى لإضعاف عالمنا الإسلامي دينيًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا وتوجيه ضربات إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة.

ورفض الخولي بشدة تأكيدات مفتي مصر الذي يرى أن التصوف هو الحل لمشكلات العالم الإسلامي بالتأكيد على أن التصوف لا يزيد عن كونه حفرة عميقة يريدون رمي العالم الإسلامي بها كي يستطيعوا تنفيذ مخططاتهم.. مطالبًا بضرورة وجود حملات إعلامية وتعليمية للتحذير من هذا الخطر الداهم.

وأضاف.. من يطلق عليهم المتصوفة لم يكونوا تاريخيًّا إلا رأس حربة للقوى "الاستعمارية" المعادية للإسلام.

٢٠٠٨/٨/١٧ صحيفة "المصريون"

قراءة في أوراق شيخ مشايخ الطرق الصوفية الجديد

رأفت صلاح الدين

الشريف: أحمد كامل ياسين
شيخ مشايخ الطرق الصوفية

لم يكد المشيعون يوارون جسد شيخ مشايخ الطرق الصوفية الراحل - الشيخ حسن الشناوي (٨٢ سنة) - التراب حتى قام أعضاء المجلس الصوفي الأعلى باختيار الشريف أحمد كامل ياسين الرفاعي - نقيب الأشراف وشيخ الطريقة الرفاعية - ليكون شيخًا لمشايخ الطرق الصوفية خلفًا لسلفه، بعد حوالي الـ ٢٤ ساعة وبسرعة غير مسبوقة.

اجتمعوا في مقر الطريقة القصبية الخلوتية بمسجد أحمد القصبي عقب صلاة الجمعة وتشييع جنازة الشيخ حسن الشناوي، وقد أجمعوا في هذا اللقاء على ضرورة تولي السيد أحمد كامل ياسين الرفاعي منصب شيخ المشايخ وقد لاقى هذا الاختيار ترحيب المشايخ الذين توافدوا على مسجد أحمد القصبي وقد تصادف أن يكون اجتماع المجلس الصوفي الأعلى يوم السبت ٢٨ يونيو وهذا الموعد قد حدده الشيخ حسن الشناوي قبل رحيله.

قالوا له: "اخترناك؟ قبلت".. قال: "قبلت".. وقد اختير بالإجماع.. وكتب في المضبطة: إن لا أحد رشح نفسه أمامه. فانتقلوا إلى القرار التالي وهو تعيين الشيخ سعيد ابن الشيخ حسن الشناوي خلفًا لوالده في رئاسة الطريقة الشناوية.. ثم القرار الثالث وهو فتح باب الترشيح لمنصب العضو الذي خلا بتصعيد الشيخ أحمد كامل ياسين من بين أعضاء الجمعية العامة للطرق الصوفية وعددهم يساوي عدد الطرق وهو ٧٣ طريقة .. والانتخابات تجري في قاعة المجلس المحلي لمحافظة القاهرة.

وقد وعد السيد أحمد كامل ياسين بأن يكون أول مهامه استكمال جهود الشيخ حسن الشناوي في إنشاء المبني الجديد للمشيخة العامة للطرق الصوفية وتوحيد الصف الصوفي وتنقيته من الشوائب الدخيلة عليه .

وجدير بالذكر أن مقر نقابة الأشراف بالدراسة قريب، من مقر المجلس..

ورغم ما يثار في الوسط الصوفي حول التشكيك في نسبه، وكذلك القضية التي رفعت ضده من قبل بعض المنتسبين للأشراف حول ضياع تأشيرات الحج والعمرة المخصصة للنقابة.

كما أن مصدرًا صوفيًا مطلعًا كشف لموقع "إسلام أون لاين. نت" أن الاجتماع سبقه اعتراضات محدودة من جانب بعض الشخصيات الصوفية البارزة على اختيار الشيخ أحمد كامل ياسين، بسبب مرضه الشديد، خاصة أنه تجاوز الثمانين من عمره.

ورأت هذه الشخصيات أن اختيار "ياسين" قد لا يكون مفيدًا له وللصوفية، حيث لا يمكن أن يتحمل في ظل ظروفه المرضية منصبي نقيب الأشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، بحسب المصدر نفسه.

ورشح المعترضون على "ياسين" في المقابل علاء أبو العزايم شيخ الطريقة العزمية، لما له من نشاط كبير في العمل الصوفي وقدرة على تحقيق العالمية للمنهج الصوفي.

وعلى غير المعتاد فشيخ المشايخ غالبًا ما يكون أزهريًا أي عالم دين، نجد أنهم وبالإجماع قد اختاروا رجلاً لا يمت للمؤسسة الدينية بصلة، فهو ينتمي للقوات المسلحة كونه لواءً سابقًا بالجيش.

فما هو السبب في هذه السرعة؟ وهذا الاختيار بالذات؟ ومن هو هذا الشيخ الجديد؟ وما هي مؤهلاته ليكون على رأس أعلى مؤسسة صوفية في مصر- بل والعالم؟ وما هو مستقبل الطرق الصوفية في عصره؟

قبل أن نجيب نتعرف أولاً على المجلس الأعلى للطرق الصوفية: "بقراءة اللوائح والقوانين التي تنظم الطرق الصوفية في مصر.. نجد أن المادة الثالثة من القانون رقم ١١٨ لسنة ١٩٧٦ نصت على تأسيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية كهيئة ذات شخصية معنوية مستقلة وذات أغراض دينية وروحية واجتماعية وثقافية ووطنية .. ويتبع المجلس الأعلى للطرق الصوفية مشيخة الطرق الصوفية.

ويتشكل المجلس الأعلى للطرق من عشرة أعضاء يتم انتخابهم من مشيخة الطرق الصوفية وغالبًا ما يكونون مشايخ طرق، بالإضافة إلي ممثلين عن الأزهر ووزارة الأوقاف ووزارة الداخلية ووزارة الثقافة والحكم المحلي، إضافة إلي مفوض من مجلس الدولة.

ويرأس المجلس الأعلى للطرق الصوفية شيخ المشايخ ويتم تعيينه بقرار جمهوري.

وحددت المادة الرابعة من القانون ١١٨ لسنة ١٩٧٦ اختصاص المجلس الأعلى للطرق الصوفية في الإشراف العام على النشاط الصوفي ودعمه والموافقة على إنشاء الطرق الصوفية الجديدة ومتابعة نشاط كل الطرق أو أعضائها وإصدار قرارات بحظر نشاط أية فئة أو جماعة أو شخص يزعم الانتساب إلى الطرق الصوفية أو يباشر نشاطًا صوفيًا ولم يكن مدرجًا ضمن سجلات الطرق الصوفية أو إبداء الرأي في التشريعات المتعلقة بتنظيم الطرق الصوفية.

واللوائح الداخلية للمجلس الأعلى للطرق الصوفية والمشيخة العامة تنص على الموافقة على تعيين وتأديب وعزل مشايخ الطرق الصوفية ووكلائها"[١].

ورئيس المجلس الأعلى للطرق الصوفية يتولى منصبه طوال حياته إلى أن يتوفى أو يعتذر عن المنصب. وأن الانتخاب يتم غالبًا بالإجماع وهو ما حدث بالنسبة لاختيار الشيخ أحمد كامل ياسين .

وبحسب مصادر الصوفية فإن عدد المتصوفين في مصر نحو١١ مليون، يتبعون أكثر من ٧٣ طريقة صوفية لكل طريقة شيخ يسمى شيخ الطريقة. ويلاحظ أن العدد مبالغ فيه حيث إنه قد انحسر عددهم في الفترة الأخيرة كما أنه انقرض الكثير من أضرحة وموالد مشايخهم تحت تأثير المد الإسلامي الصحوي المبارك.

من هو كامل ياسين؟

وأحمد كامل ياسين الرفاعي هو من مواليد ١٩٢٢، أي حوالي «٨٦ عامًا» عمل ضابطًا بالقوات المسلحة، ثم انضم لنقابة الأشراف – التي يتبعها حسب إحصائياتهم حوالي ٦مليون شخص في مصر . مع أخيه محمود كامل ياسين نقيب الأشراف السابق، عقب صدور القرار الجمهوري عام ١٩٩١ بعودة النقابة بعد توقف ٣٨ عامًا عندما قام بحلها الرئيس جمال عبد الناصر.

وتولى مهمة نقابة الأشراف أثناء مرض أخيه، فأصبح نائب النقيب. وقام خلال تلك الفترة بعدد من الأنشطة الهامة، حيث قام بتشكيل المجلس الأعلى لنقابة الأشراف، وحرص على أن تكون لنقابة الأشراف فروع في كل المحافظات، وأحيانًا في بعض المراكز الكبيرة، وقام بإنشاء لجنة تحقيق الأنساب الشريفة ودعمها بالكفاءات.

وهو شيخ الطريقة الرفاعية- واحدة من أقدم وأكبر الطرق الصوفية بمصر- وصهر أحمد عز «سابقًا» أمين التنظيم بالحزب الوطني والملياردير ورجل الأعمال "الحديدي" المثير والمشهور حيث إنه كانت أولى زوجاته "خديجة" ابنة نقيب الأشراف الحالي.

وقال ياسين: "أعتز بأن أحمد عز أمين التنظيم في الحزب الوطني زوج ابنتي وهذا ليس سبة كما يحاول البعض أن يقول، لأنني أعرف عز ووالده منذ عام ١٩٩٥ قبل أن ينخرط في العمل السياسي أو الحزب الوطني أو يكون له أي دور داخل النظام وهو شخص ذكي يجب أن تفتخر به مصر كلها.

وأضاف ياسين أنه ليس عضواً بالحزب الوطني، مشيراً إلى أنه انتقد مناقشة أمور الدين داخل غرف مغلقة بالحزب الوطني عندما دعاه أحمد عمر هاشم وقت أن كان رئيس اللجنة الدينية بالحزب الوطني لأحد اجتماعات اللجنة وطلب منه أن ينزل أعضاء اللجنة الدينية في الحزب الوطني إلى الشارع بدلاً من المناقشات داخل الغرف المغلقة" [٢].

وبعد وفاة محمود كامل ياسين الرفاعي، تم اختيار أحمد كامل ياسين نقيبا للأشراف بالتزكية فصدر القرار الجمهوري رقم ٣٣٠ لسنة ١٩٩٤ الذي يتبعه إداريًا المجلس الأعلى للطرق الصوفية بتعيينه في هذا المنصب يوم ٨ يوليو ١٩٩٤.

وحرص مع بداية توليه هذا المنصب على تشكيل لجنة قانونية من رجال القضاء لإعداد مشروع قانون جديد للنقابة يساير تطورات العصر، كما شكل لجنة دائمة للزكاة لجمع زكاة الأشراف وتوزيعها على فقرائهم.

رؤيته للعمل السياسي:

"كشف نقيب الأشراف أن من ينتسبون للرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته ليس من الممنوع عليهم أن يكونوا أعضاءً بأي برلمان في أي دولة، وأن خوضهم للانتخابات هو حق لهم مثل غيرهم.

وأشار ياسين إلى أن الشريف . الذي ينتهي نسبه إلى الرسول . هو جدير لأن يكون شخصية بارزة في المجتمع ... وأضاف أنه ليس من المستغرب أن يكون الشريف عضو مجلس شعب، بل إن أكبر عدد من أعضاء مجلس الشعب كانوا من الأشراف خاصة في دوائر الصعيد حيث إن معظم العائلات هناك شريفة، موضحًا أن مجلس نقابة الأشراف القديم كان به ٢٠ من أعضاء مجلس الشعب"[٣].

انتقادات وجهت له:

كبيع تأشيرات الحج المخصصة للأشراف ومن قبلها بيع أنساب الأشراف، والارتزاق باسمهم, وجمع التبرعات من غير المصريين, ومخالفات مالية وإدارية.

كما قام ما يسمى بالمجلس الأعلى لرعاية آل البيت- الذي يرأسه محمد الدريني الشيعي- برفع قضية لفرض الحراسة على النقابة.

كما أنه أثير جدل كبير حول منح النقابة نسب آل البيت للعقيد معمر القذافي والرئيس العراقي صدام حسين. الملاحظ أن من يتولي كبر هذه الاتهامات جلهم من الشيعة لأهدف معروفة. وإن كان النقيب قد نفى كل تلك الاتهامات.

أسباب تنصيبه شيخ مشايخ الطرق الصوفية:

حيث إنه له دور بارز في المجلس وبصفته أكبر أعضاء المجلس سنًا ويرأس أقدم وأكبر طريقة صوفية «الرفاعية». كما أن المجلس - الذي يتصف بالعشوائية دائمًا- يسعى إلى جمع شمل الطرق الصوفية وتنظيم عملها، فهو بالنسبة لهم الرجل المناسب لقيادتهم في الفترة القادمة.

ومن ضمن الأسباب أيضًا نشاطه الملحوظ من خلال نقابة الأشراف وإنجازاته بها - كما أسلفنا- .

البارز في حياة ياسين. كما أسلفنا. أنه والد إحدى زوجات رجل الحزب الوطني «أحمد عز» قبل أن ينفصل عنها. كما يحظى الرجل بمكانة متميزة لدى جميع الجهات السيادية في الدولة واحترام ذوي السلطة والنفوذ، ويعود هذا الاحترام إلى انتمائه السابق للقوات المسلحة، بالإضافة لنسبه الذي يقال إنه يمتد لآل البيت، وبعد وفاة شقيقه انهالت البرقيات من كل أشراف مصر إلى مبارك ووزير الأوقاف تزكيه نقيبًا لهم بعد أن عرفوه عن قرب.

كما أن الرجل يتمتع بشعبية كبيرة بين مشايخ الطرق الصوفية فهو الأكبر سنًا بين جميع المشايخ والكل يعلم أن اختياره كان مجرد وقت، ورغم الاعتراضات المحدودة على اختيار ياسين بسبب عمره الذي تخطى الـ ٨٦ عامًا وظروفه الصحية انتهى الأمر باختياره؛ لأن جميع مشايخ الطرق الصوفية يعتبرونه الأحق بهذا المنصب.

اللافت للنظر من خلال سيرة الرجل علاقته القوية والمتينة بالنظام الحاكم ورجالات الحزب الوطني، وهو مقرب جدًا من المؤسسة الدينية الرسمية .

لذا فإن اختياره يهدف إلى تعزيز وتقوية سيطرة الحزب الحاكم والنظام على الطرق الصوفية ونقابة الأشراف فهي رصيد كبير لهم من خلال:

إعطاء الشرعية للنظام أمام هذه الأعداد الغفيرة من الدراويش، كما أنها رصيد كبير لها في الأصوات الانتخابية، فبحسب مشيخة الطرق الصوفية فإن أتباعها حوالي ١١ مليونًا، ونقابة الأشراف التي يرأسها أيضًا النقيب الجديد يصل أعداد المنتمين إليها حسب النقابة حوالي ٦ مليون. لا ينتمون كلهم للطرق الصوفية.

وعدد أتباع الطريقة الرفاعية – التي يتزعمها أيضًا ياسين - على حسب قولهم حوالي ٣ ملايين ليسوا جميعًا أشراف، فبالتالي تعتبر هذه صفقة لا يمكن التفريط فيها.

كما أن الرجل له باع طويل في تشجيع أتباعه في النقابة على ممارسة العمل السياسي من خلال الحزب الوطني ومن خلال الانتخابات كم ذكرنا سابقًا.

وبالتالي فمن الطبيعي أن يمارس نفس النشاط مع أتباعه الجدد في الطرق الصوفية، وهذا يتماشى مع توجهات النظامين العالمي والمحلي اللذين يهدفان إلى إعطاء دور أكبر للصوفية لمواجهة الحركات الإسلامية بشقيها السياسي والدعوي، وإحلال الصوفية بديلاً عن الإسلام السلفي.

كما أنه له باع طويل وصراع مرير مع الشيعة في مصر، فهم دائمًا بقيادة الدريني ما يكيلون الاتهامات للنقابة والنقيب – كما أسلفنا – وساحات المحاكم غاصة بكثير من القضايا المرفوعة ضده من الشيعة، لدرجة أن الدريني هدد منذ مدة بعمل اعتصام داخل مقر النقابة لإقالة النقيب.

طبعًا الطموح الشيعي ليس له حدود، وطموحهم جامح ليس في السيطرة على نقابة الأشراف فقط بل على الأزهر نفسه بل ومصر كلها.

وهذا ما يقلق النظام الذي يعرف يقينًا أن الشيعة ولاؤهم المطلق لإيران التي لا تخفي أطماعها في السيطرة على المنطقة كلها بصفة عامة ومصر بصفة خاصة .

لذا فياسين هو الرجل المناسب لوقف التغلغل الشيعي داخل الطرق الصوفية . التي تشيع من أتباعها عدد كبير، لعله ينجح في وقف محاولات الشيعة السيطرة على الطرق الصوفية.

الخلاصة أن اختيار أحمد كامل ياسين لمشيخة الطرق الصوفية ليس عشوائيًا فهو رغم كبر سنه الأنسب لهذه المرحلة لتعميق سيطرة النظام الحاكم على حركة التدين الصوفي ليكون رصيدًا شعبيًا للنظام الذي يفتقد كل شعبية له في الشارع المصري.

الهوامش

(١) http://www.akhbarelyom.org.eg/akhersaa/issues/٣٨٣٤/٠١٠٦.html الأربعاء ١٢ /٤/ ٢٠٠٨ العدد ٣٨٣٤.

(٢) المصدر : صحيفة المصري اليوم ٩ نوفمبر ٢٠٠٦

(٣) المصدر : موقع عشرينات egyvote.٢٠at.com/article.php?sid=١ - ٦٩k